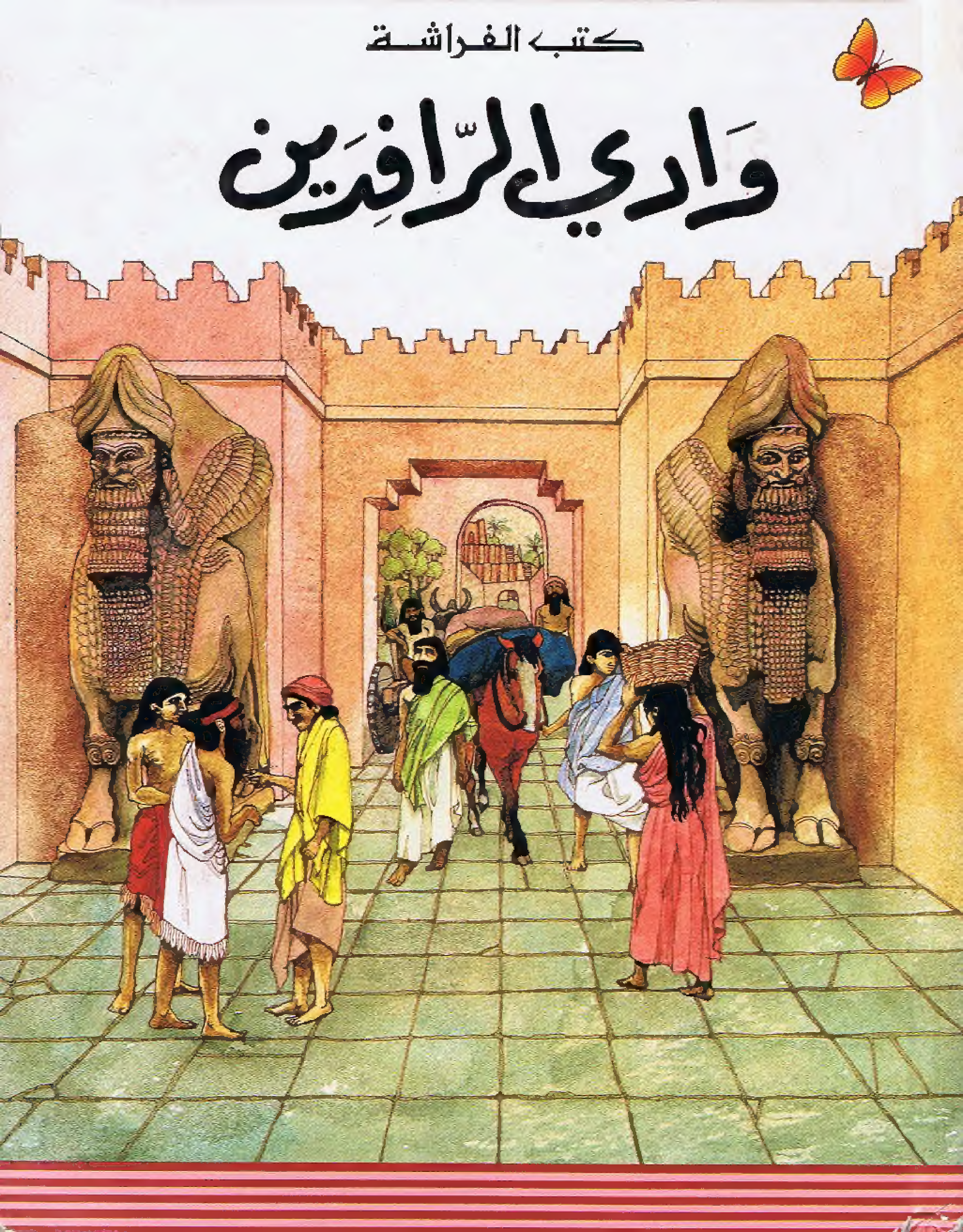


كتب الفراشة

وَادي الرّافِدَين

أَعَدَّ كُتُبَ هٰذِهِ السِّلْسِلَةِ خُبَراءُ مُتَخَصِّصونَ في المادَّةِ العِلْمِيَّةِ وطُرُقِ تَقْديمِها إلى الأَعِزّاءِ الصِّغارِ. وعُرِضَتِ الحَقائِقُ عَرْضًا مُبَسَّطًا مَنْطِقِيًّا يَصِلُ بَيْنَ الماضي والحاضِرِ، ويُلَبّي تَطَلُّعاتِ أَبْنائِنا ويَسْتَبِقُ أَسْئِلَتَهُمْ، حَتّى لَتَبْدُوَ هٰذِهِ السِّلْسِلَةُ مَوْسوعَةً مُبَسَّطَةً تُغَذّي العُقولَ الفَتِيَّةَ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُشَجِّعُ أَبْناءَنا عَلى القِراءَةِ. وزُيِّنَتِ الصَّفَحاتُ جَميعًا بِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ نابِضَةٍ، تُوَضِّحُ الأَفْكارَ وتُنَمّي الحِسَّ بِالجَمالِ.

وَادِي الرَّافِدَين



ترجمة : عبدالله أبو مِدْحَت
مُراجعة : أحمد شفيق الخَطيب



مكتبة لبنان ناشِرُون

تَمْهيد

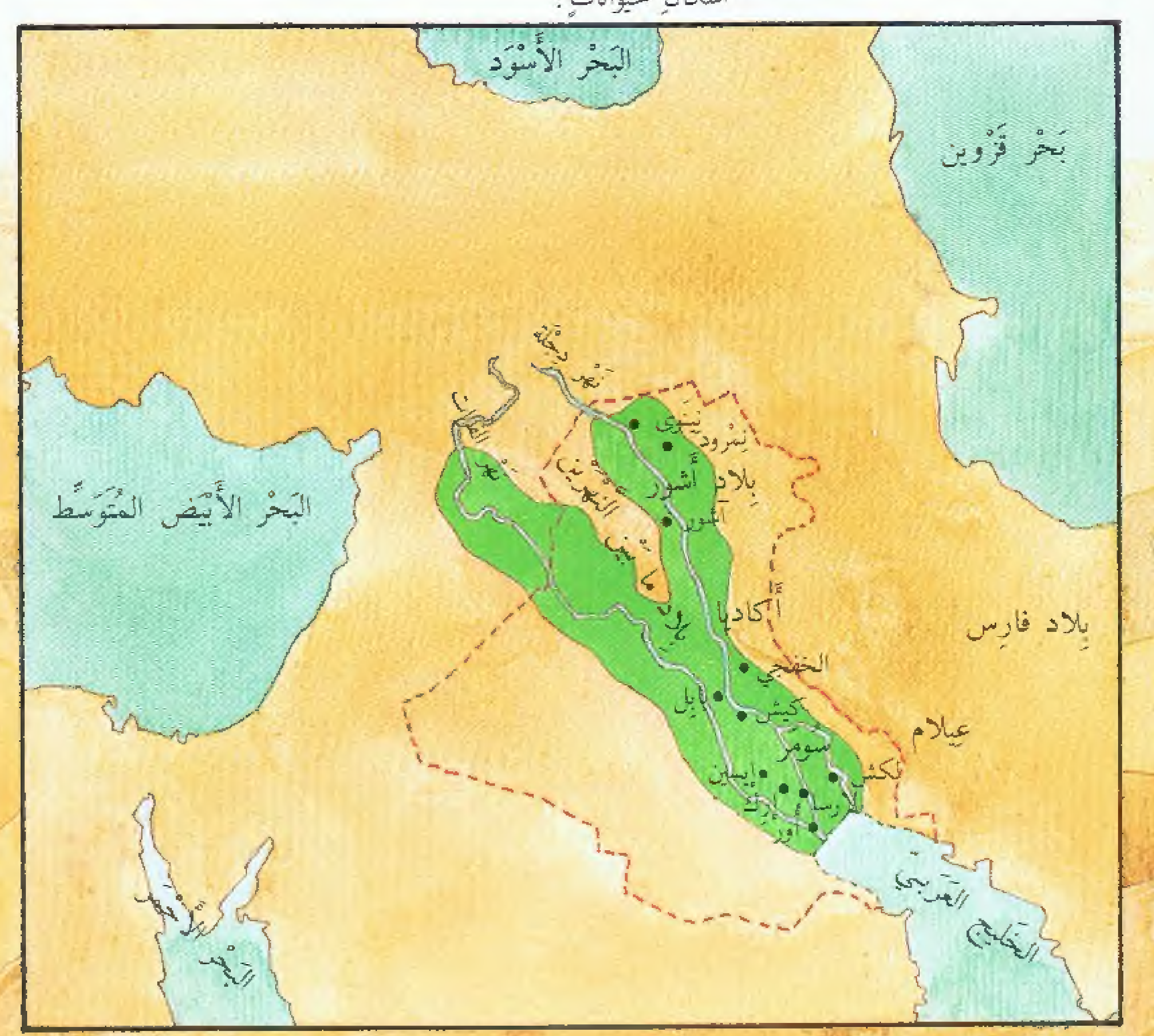
الَّذي يُطِلُّ عَلى العِراقِ مِنَ الطّائِرَةِ يَرى بِطاحًا صَحْراوِيَّةً شاسِعَةً، كَما يُشاهِدُ أَراضيَ زِراعِيَّةً خِصْبَةً عَلى جَوانِبِ نَهْرَي دِجْلَةَ والفُراتِ العَظيمَيْنِ. والَّذي يُدَقِّقُ النَّظَرَ يُلاحِظُ أَيْضًا رُبًى (رَبَواتٍ) رُكامِيَّةً مُحَيِّرَةً مُتَناثِرَةً عَلى مَدى البَصَرِ.

لَقَدْ خَبَرَ سُكّانُ المِنْطَقَةِ عَلى مَدى السِّنينَ أَنَّهُمْ بِاحْتِفارِ هٰذِهِ الرُّبى يَعْثُرونَ عَلى طوبٍ مَليسٍ مُقَسًّى بِالشَّيِّ لا بِالتَّشْميسِ. فَكانوا إِذا ما رَغِبوا في بِناءِ جِدارٍ مَتينٍ يَقْصِدونَ هٰذِهِ الرُّكَمَ. وَكَثيرًا ما احْتَفَروا مَعَ الطّوبِ أَشْياءَ غَريبَةً كَالآجُرِّ المُلَوَّنِ أَوْ شَقَفِ الأَواني أَوْ قِطَعِ حِجارَةٍ مَنْحوتَةٍ عَلى أَشْكالِ حَيَواناتٍ.

خارِطَةٌ تُبَيِّنُ امْتِدادَ بِلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ وَالمِنْطَقَةَ المُحيطَةَ بِها. لاحِظْ أَنَّ البِلادَ امْتَدَّتْ عَلى طولِ مَجْرَيَي النَّهْرَيْنِ العَظيمَيْنِ – دِجْلَةَ والفُراتِ

أَرْضٌ خِصْبَةٌ

العِراقُ الحَديثُ



كانَ الطُّوبُ القِرْميدِيُّ هُوَ ضالَّةَ المُحْتَفِرينَ الأَوائِلِ، لٰكِنْ مُؤَخَّرًا بَدَأَ أُناسٌ يَهْتَمُّونَ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ بالأَشْياءِ الغَريبَةِ الأُخْرى المُتَواجِدَةِ في الرُّبي. وتَزايَدَ هٰذا الاهْتِمامُ حِينَ بَدَأَ سُراةُ الأُورُبِّيِّينَ يَدْفَعُونَ أَثْمانًا مُغْرِيَةً لِلْحُصولِ عَلى هٰذِهِ الأَحافيرِ. ثُمَّ اجْتَذَبَتْ هٰذِهِ الأَحافيرُ المُتَكاثِرَةُ اهْتِمامَ عُلَماءِ الآثارِ الَّذينَ أَخَذوا يَقْرَؤونَ في ثَناياها تاريخَ المُدُنِ القَديمَةِ الَّتي انْدَثَرَتْ وطَمَرَتْها طَبَقاتُ التُّرابِ والرَّمْلِ.

لَقَدْ كانَتْ هٰذِهِ المُدُنُ مِنْ أَوائِلِ المُدُنِ الَّتي شادَها الإِنْسانُ – وَفِيها حَقَّقَ الكَثيرَ مِنْ بَواكيرِ حَضارَتِهِ.

إِعْتادَ السُّكّانُ المَحَلِّيُّونَ احْتِفارَ الطُّوبِ القِرْميدِيِّ مِنَ الرُّبِيِّ المُحَيِّرَةِ. وكانَتْ تِلْكَ الأَحافيرُ هِيَ كُلَّ ما تَبَقَّى مِنْ مُدُنِ بِلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ القَديمَةِ العَريقَةِ.



هكَذا كانَتِ الْبِدايَة

لَقَدْ عاشَ المُزارِعُونَ في حَوْضَيْ دِجْلَةَ والفُراتِ آلافًا مِنَ السِّنينَ قَبْلَ نُشوءِ المُدُنِ. وقَدْ بَدَأَ الزُّرّاعُ الأَوائِلُ نَمَطَ حَياةٍ جَديدًا – فَبَدَلًا مِنَ الاعْتِمادِ عَلى ما يَجِدونَهُ مِنْ نَباتِ البَرِّ وصَيْدِهِ في مَعيشَتِهِم التَّجْوالِيَّةِ، أَخَذوا يَتَحَوَّلونَ إلى فِلاحَةِ الأَرْضِ وتَرْبِيَةِ المُدَجَّناتِ مِنْ بَقَرٍ وَغَنَمٍ ومَعْزٍ. وَراحوا يَعيشونَ جَماعاتٍ تَصْغُرُ أَوْ تَكْبُرُ تَبَعًا لِلْإِمْكاناتِ وَالمَوارِدِ المُتوافِرَةِ.

وَعِنْدَما تَزايَدَتْ هٰذِهِ الجَماعاتُ وازْدَحَمَتِ البِقاعُ الشَّماليَّةُ مِنْ وَادي الرافِدينِ بِالسُّكّانِ بَدَأَ بَعْضُ القَوْمِ بِالنُّزوحِ جَنوبًا. وَهُنا جُوبِهوا بِمُشْكِلَتَيْنِ عَظيمَتَيْنِ هُما انْحِباسُ المَطَرِ وَالجَفافُ في القِسْمِ الأَكْبَرِ مِنَ السَّنَةِ، بَيْنَما تَنْهَمِرُ الأَمْطارُ غَزيرَةً في الرَّبيعِ؛ فَيَفيضُ النَّهْرانِ وتَكْتَسِحُ الفَيَضاناتُ العاتِيَةُ الأَرْضَ فِي الوَقْتِ الَّذي تَكونُ فيه المَحاصِيلُ قَدْ بَدَأَتْ تَنْبُتُ وَتَشْتَدُّ. فَلِنَجاحِ الزِّراعَةِ في البِقاعِ الجَنوبِيَّةِ كانَ لا بُدَّ مِنْ بناءِ السُّدودِ، لِحَصْرِ مِياهِ الفَيَضانِ، وَإِنْشاءِ القَنَواتِ لِرَيِّ الحُقولِ في أَشْهُرِ الْجَفافِ.

وَحِيْنَما أَفْلَحَ القَوْمُ في حَلِّ مُشْكِلَتَي الفَيَضاناتِ والجَفافِ تَضاعَفَ إِنْتاجُهُم لِمُخْتَلِفِ المَوادِّ الغِذائِيَّةِ. وَصارَ بِمَقْدورِ قِسْمٍ مِنَ السُّكّانِ الانْصِرافُ عَنِ الأَشْغالِ الزِّراعِيَّةِ إلى أَعْمالٍ أُخْرى يُؤَدّونَها في مُقابِلِ حاجاتِهِم الغِذائِيَّةِ، فَاحْتَرَفوا البِناءَ أَوْ صِناعَةَ الخَزَفِيّاتِ أَوْ عَمَلَ السِّلالِ أَوْ تَعاطِيَ التِّجارَةِ بِالسِّلَعِ بَيْنَ مُخْتَلِفِ مَناطِقِ البِلادِ.

وَفي هٰذِهِ الفَتْرَةِ نَشَأَتِ المُدُنُ – كَمَراكِزَ يَقْصِدُها المُزارِعونَ لِبَيْعِ مَحاصِيلِهِمْ، ويَسْتَوْطِنُها الحِرَفِيّونَ والتُّجّارُ لِمُمارَسَةِ نَشاطاتِهِمْ. وَشُيِّدَتِ المَعابِدُ في المُدُنِ لِيَؤُمَّها النّاسُ تَعَبُّدًا لِلآلِهَةِ الَّذينَ يَحْرُسونَهُمْ، حَسْبَما تَقولُ مُعْتَقَداتُهُمْ. وَفي المُدُنِ أَيْضًا عاشَتِ العائِلاتُ الحاكِمَةُ في قُصورِها مُحاطَةً بِمَباني السُّلْطَةِ وَالإدارَةِ – كَثُكُناتِ الجَيْشِ وَمَكاتِبِ الضَّرائِبِ ودُوْرِ المَحاكِمِ.

لَقَدْ كانَتْ بِلادُ وادي الرافِدَيْنِ أَحَدَ أَوَّلِ المَواقِعِ في العالَمِ الَّتي تَحْدُثُ فيها هٰذِهِ الأَشْياءُ – لِذا اسْتَحَقَّتِ اسْمَ «مَهْدِ الحَضاراتِ» الَّذي أُطْلِقَ عَلَيْها.

بِتَضافُرِ جُهودِهِم وتَعاوُنِهِمْ فَقَطْ، اسْتَطاعَ الزُّرّاعُ التَغَلُّبَ عَلى مُشْكِلَتَي الفَيَضانِ والجَفافِ. وَقَدْ عادَ هٰذا التَّنْظيمُ الواعي عَلى بِلادِ وادي الرافِدَيْنِ بِالثَّراءِ؛ وبِتَوافُرِ التَّنْظيمِ المُؤَسَّساتِيِّ والثَّراءِ نَشَأَتِ المُدُنُ.

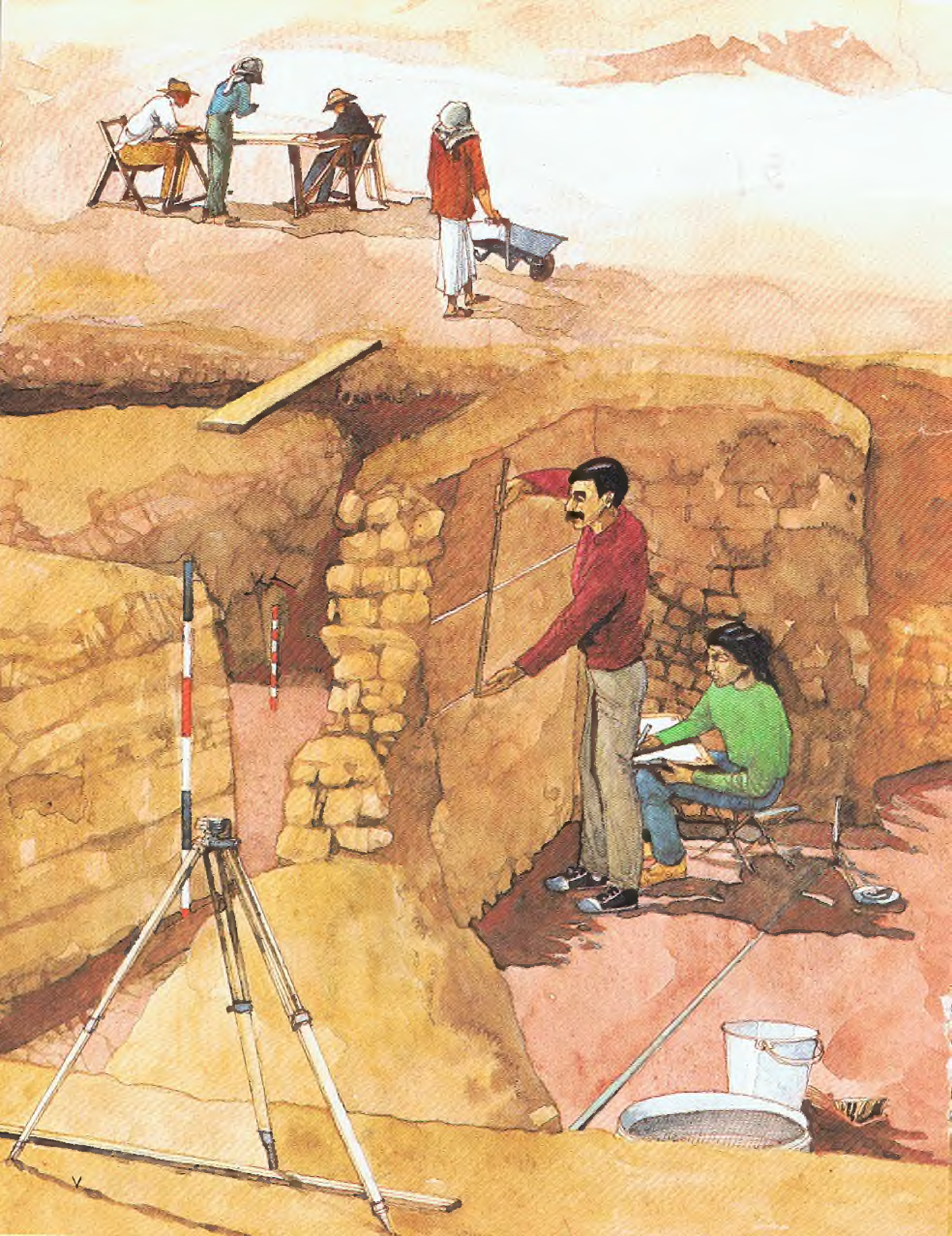


اِحْتِفار الرُّبِيّ

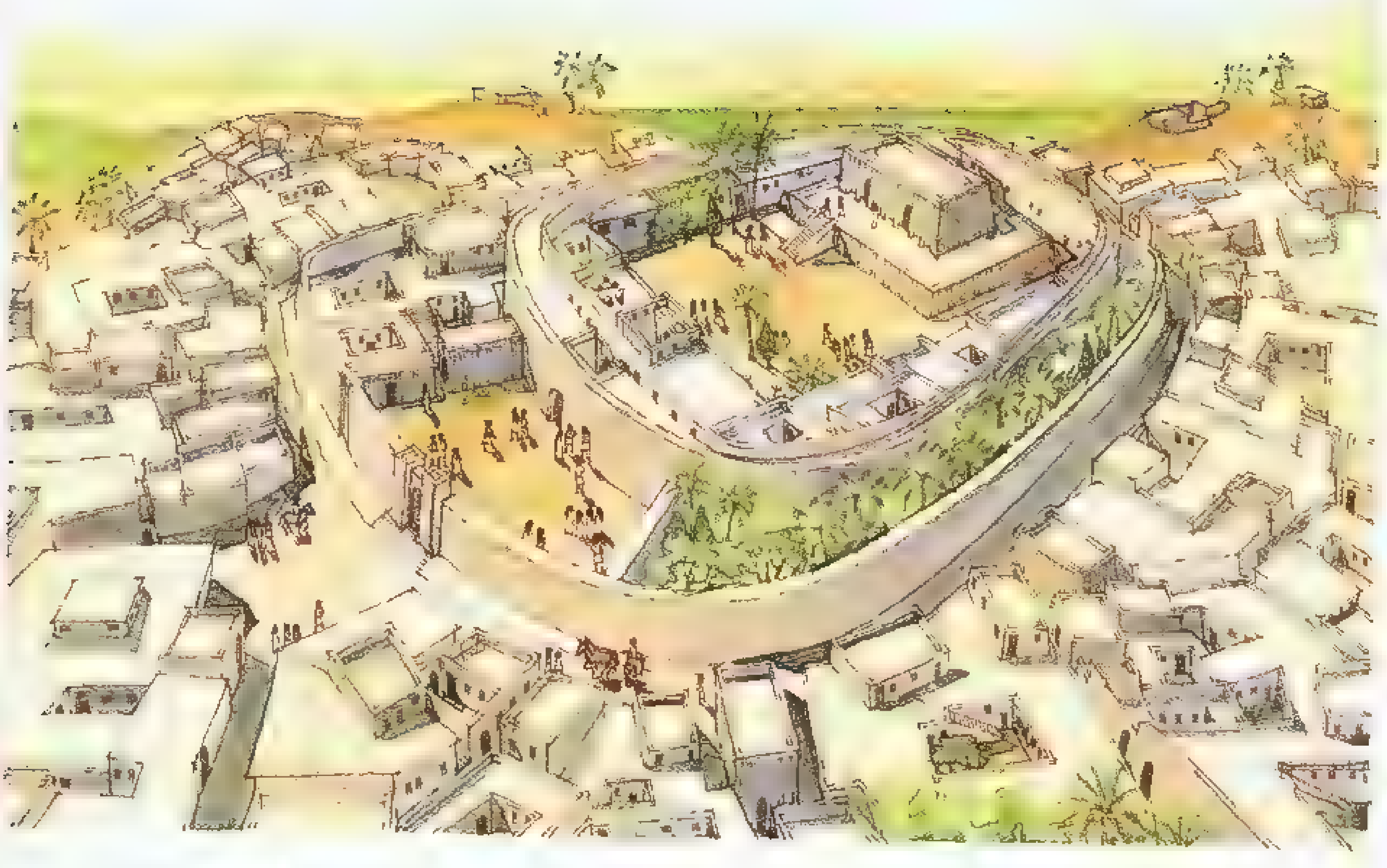
إنَّ السَّبيلَ الوَحيدَ إلى تَعَرُّفِ أَوْضاعِ مُدُنِ وَادي الرّافِدَيْنِ القَديمَةِ اليَوْمَ هُوَ دِراسَةُ البَقايا المُحْتَفَرَةِ خِلالَ التَّنْقيباتِ الَّتي يُجْريها عُلَماءُ الآثارِ. إنَّهُ لَمِنَ المُمْكِنِ، رُغْمَ تَساقُطِ الجُدْرانِ وانْهِيارِ السُّقوفِ، تَقَصّي أَساساتِ جُدْرانِ المَباني وَتَمَثُّلِ الهَيْئَةِ الَّتي كانَتْ تَبْدو فيها تِلْكَ المُدُنُ.

عُلَماءُ آثارٍ يَعْمَلونَ في مَوقِعِ إحْدى المُدُنِ القَديمَةِ. إنَّهُم يَدْرسُونَ كُلَّ شَيْءٍ بِإمْعانٍ ودِقَّةٍ لِكَشْفِ المَزيدِ عَنْ أوضاعِ تِلْكَ المُدُنِ وأَحْوالِ ساكِنِيها.









فوق: لَقَدِ استَطاعَ عُلَماءُ الآثارِ بِتَنقيباتِهِمْ واسْتِقْصاءاتِهِمْ في مَوقِعِ الخَفَجي إبرازَ الشَّكْلِ الَّذي كانَتْ تَبْدو فيهِ تِلْكَ المَدينَةُ. إنَّ المِنْطَقَةَ البَيْضاوِيَّةَ هِيَ ما يُرَجَّحُ أَنَّهُ هَيْكَلٌ أَو مَعْبَدٌ.

في المُقابِلِ: كَثيرًا ما كانَ السُّكّانُ في وادي الرّافِدَيْنِ يُزَخْرِفونَ بُيوتَهُم بالآجُرِّ والمَسامِيرِ المَخْروطِيَّةِ الزّاهِيَةِ الأَلْوانِ مُنَضَّدَةً في أَشْكالٍ وأَنْماطٍ هَنْدَسِيَّةٍ بَديعَةٍ.

لَقَدِ استَطاعَ عُلَماءُ الآثارِ بِحَفْرِيّاتِهِمْ واسْتِقْصاءاتِهِمِ الدَّقيقَةِ مَعْرِفَةَ الكَثيرِ عَنْ مَدينَةِ الخَفَجي. فَجُدْرانُ المَباني المُخْتَلِفَةِ مَبْنِيَّةٌ بالطّوبِ المَشْوِيِّ المُصْمَتِ بِشَكْلٍ بِعِنايَةٍ وَدِقَّةٍ فَوْقَ أَساساتٍ راسِخَةٍ مِنَ الحَجَرِ. وتُلاحَظُ شَوارِعُ المَدينَةِ مُتَراصَّةَ الجانِبَيْنِ بالبُيوتِ الصَّغيرَةِ، كَما يَلْفِتُ الاهْتِمامَ مَبْنًى عَظيمٌ بَيْضِيُّ الشَّكْلِ لَعَلَّهُ هَيْكَلٌ أَوْ مَعْبَدٌ.

إِنَّ تَشْييدَ مَعْبَدٍ كَهٰذا لا بُدَّ أَنَّهُ اسْتَغْرَقَ وَقْتًا طَويلًا بِمُشارَكَةِ جَمْعٍ غَفيرٍ مِنَ العُمّالِ، بِخاصَّةٍ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدى القَوْمِ حينَئِذٍ أَيٌّ مِنَ المُعَدّاتِ الَّتي يَسْتَخْدِمُها البَنّاؤونَ اليَوْمَ.

وكانَتِ المَباني الفائِقَةُ الأَهَمِّيَّةِ تُزَيَّنُ بالآجُرِّ وَبالمَساميرِ الطّينِيَّةِ المُلَوَّنَةِ الرُّؤوسِ — وَهِيَ طَريقَةُ زَخْرَفَةٍ انْفَرَدَ بِها فَنُّ العِمارَةِ في بِلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ. ويُمْكِنُكَ بِعَيْنِ الخَيالِ تَصَوُّرُ رَوْعَةِ تِلْكَ الأَبْنِيَةِ بِأَلْوانِها الأَخّاذَةِ



فوق: أَوْعِيةٌ فخارِيَّةٌ مَشْدودَةٌ إلى ساقِيَةٍ (ناعورة)

في المُقابِل: خزّافٌ يُشكِّلُ الصَّلْصالَ عَلى دُولابِه

في الأَسْفَل: لَقَدْ صُنِعَتْ دَواليبُ العَرَباتِ الأُولى مِنَ الخَشَبِ المُصْمَتِ

وقَدْ عُثِرَ في بَقايا جَميعِ هذِهِ المُدُنِ عَلى الكَثيرِ مِنَ الأَواني الخَزَفِيَّةِ بِأَشْكالٍ وأَنْواعٍ وحُجومٍ مُخْتَلِفَةٍ مُزَخْرَفَةٍ بِعِدَّةِ أَلْوانٍ لا سِيَّما الرَّماديِّ والأَسْوَدِ والأَحْمَرِ والأَخْضَرِ وأَحْيانًا مُزَيَّنَةً بِأَسْلاكِ الفِضَّةِ. ويُلاحَظُ بِوُضوحٍ مَيْلُ الخَزّافينَ إلى تَصاميمِ الأَشْكالِ النَّمَطِيَّةِ. حَتّى إِنَّ صُوَرَ الحَيَواناتِ عَلى هذِهِ الأَواني كَثيرًا ما تَظْهَرُ نَمَطِيَّةَ النَّسَقِ.

ويُلاحَظُ كَذلِكَ أَنَّ الكَثيرَ مِنْ هذِهِ الأَواني قَدْ تَمَّ صُنْعُهُ عَلى دُولابِ الخَزّافِ حَيْثُ تُيَسِّرُ الصَّفيحَةُ الدَّوّارَةُ لِلفاخوريِّ تَشْكيلَ الأَواني (مِنَ الصَّلْصالِ) بِسُرْعَةٍ، مُدَوَّرَةً ومُنْبَسِطَةً.

واسْتُخْدِمَتِ الدَّواليبُ (أَوِ العَجَلاتُ) أَيْضًا في وَسائِلِ النَّقْلِ رُبَّما لِلْمَرَّةِ الأُولى في تاريخِ البَشَرِ. وهذا ما تَشْهَدُ بِهِ مَناظِرُ العَرَباتِ ذاتِ الدَّواليبِ في الصُّوَرِ والمَنْحوتاتِ الَّتي تَمَّ العُثورُ عَلَيْها في أَنْقاضِ هذِهِ المُدُنِ. ويُعْتَبَرُ اخْتِراعُ العَجَلَةِ أَحَدَ أَهَمِّ اخْتِراعاتِ بَني الإِنْسانِ.

فالوَظائِفُ الَّتي تُيَسِّرُها العَجَلاتُ تَكادُ لا تُحْصَرُ في وَسائِلِ النَّقْلِ البَرِّيَّةِ الثُّنائِيَّةِ أَوِ الرُّباعِيَّةِ الدَّواليبِ الَّتي راحَ النّاسُ يَسْتَخْدِمونَها في أَسْفارِهِمْ أَوْ نَقْلِ بَضائِعِهِمْ. كَذلِكَ اسْتُخْدِمَ الدُّولابُ كَوَسيلَةٍ لِرَفْعِ المِياهِ مِنْ مَجاريها لِرَيِّ المَحاصيلِ.





تُحْفَةٌ مِنْ حُلِيِّ بِلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ صِمادَةٌ مِنَ الذَّهَبِ واللازَوَرْدِ وُجِدَتْ في قَبْرٍ مَلَكِيٍّ في أُور

وَقَدْ أَتْقَنَ أَهْلُ وادي الرافِدَيْنِ أَيْضًا صِناعَةَ المَعْدِنِيّاتِ فَكانَ ذَلِكَ مِنْ عَوامِلِ ازْدِهارِ حَضارَتِهِمْ. وَقَدْ عُثِرَ في الرُّبِيِّ على مِثْلِ هَذِهِ المَصْنوعاتِ مِنَ الذَّهَبِ والنُّحاسِ والبُرونْزِ. وَمَعَ أَنَّ البُرونْزَ هُوَ أَقَلُّ هَذِهِ المَعادِنِ جاذِبِيَّةً وَجَمالاً فَإِنَّهُ لِصَلادَتِهِ كانَ أَكْثَرَها نَفْعًا في صُنْعِ الأَدَواتِ المُخْتَلِفَةِ الَّتي وُجِدَ الكَثيرُ مِنْها، والَّتي تَشْهَدُ بِمَهارَةِ صانِعيها.

وَقَدْ عُثِرَ عَلَى الكَثيرِ مِنَ الحُلِيِّ في رُكامِ الرُّبِيِّ. وَقَدْ صُنِعَ مُعْظَمُ هَذِهِ الحُلِيِّ مِنَ الخَرَزِ الخَزَفِيِّ وَأَصْنافٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ الأَحْجارِ شِبْهِ الكَريمَةِ. أَمّا الحُلِيُّ الأَكْثَرُ تَعْقيدًا فَقَدْ صيغَتْ مِنْ شَرائِحِ الذَّهَبِ الرَّقيقَةِ المُرَصَّعَةِ بِأَنْماطٍ جَميلَةٍ مِنَ الحِجارَةِ الكَريمَةِ.

وَتُشيرُ بَعْضُ أَنْواعِ هَذِهِ الحِجارَةِ النَّفيسَةِ، كَاللازَوَرْدِ الأَزْرَقِ، إِلى أَنَّهُ كانَ لِسُكّانِ وادي الرافِدَيْنِ عَلاقاتٌ تِجارِيَّةٌ مَعَ مَصْدَرِ هَذِهِ الحِجارَةِ في البِلادِ الجَبَلِيَّةِ بَعيدًا عَنْ مَوْطِنِهِمْ. فَكانَ تُجّارُ المُدُنِ يَحْمِلونَ بِضاعَتَهُمْ مِنَ الخَزَفِ والأَدَواتِ البُرونْزِيَّةِ والأَغْذِيَةِ إِلى مَناطِقَ نائِيَةٍ يُقايِضونَ بِها ما يَحْتاجونَهُ مِنْ تِلْكَ النَّفائِسِ.

وَمِنَ المَهاراتِ الَّتي أَبْدَعَ فيها سُكّانُ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ النَّقْشُ والنَّحْتُ. وأَكْثَرُ ما وُجِدَ مِنْ هٰذِهِ المَنْقوشاتِ «الأَخْتامُ الأُسْطُوانِيَّةُ» وَهِيَ أُسْطُوناتٌ مُتَطاوِلَةٌ مِنَ الصَّلْصالِ نُقِشَتْ فيها أَشْكالُ حَيَواناتٍ أَوْ أَشْخاصٍ أَوْ أَصْنامٍ. فَإِذا ما دُحْرِجَتْ هذِهِ الأَخْتامُ عَلى الطِّينِ الطَّرِيِّ انْطَبَعَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الأَشْكالُ. وكانَ الخَتْمُ بِمَثابَةِ تَوْقيعِ صاحِبِهِ. فَإِذا تَعاقَدَ تاجِرانِ عَلى صَفْقَةٍ احْتَفَظَ كُلٌّ مِنْهُما بِدَمْغَةِ خَتْمِ الآخَرِ تَأْكيداً للاتِّفاقِيَّةِ.

مِنْ هٰذِهِ الأَدَواتِ المُكْتَشَفَةِ وأَمْثالِها تَبْرُزُ لَنا تَفاصيلُ الحَياةِ الَّتي سادَتْ مُدُنَ وادي الرافِدَيْنِ. لَقَدْ حَفَلَتِ المُدُنُ بالحِرَفِيِّينَ المَهَرَةِ والتُّجّارِ والمَأْمورينَ الَّذينَ كانَتْ وَظائِفُهُمْ وواجِباتُهُمْ تَسْتَدْعي سِجِلّاتٍ بالمُعامَلاتِ مُوَقَّعَةً بِأَخْتامِ المُتَعاقِدينَ الشَّخْصِيَّةِ. وَلا بُدَّ أَنَّ الأَرْيافَ المُحيطَةَ كانَتْ عامِرَةً بِالمَزارِعِ الوَفيرَةِ المَحاصيلِ بِما يَضْمَنُ مُداوَمَةَ تَزْويدِ هٰذِهِ المُدُنِ بِاحْتِياجاتِها الغِذائِيَّةِ.

دَمَغاتٌ عَلى الطِّينِ طُلِمَتْ بِثَلاثَةِ أَخْتامٍ أُسْطُوانِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ.







وَلِكَيْ يَتَدَبَّرَ أَهْلُ وادي الرافِدَيْنِ شُؤونَ حَياتِهِم اليَوْمِيَّةِ ابْتَكَروا أَعْظَمَ ما حدَثَتْ بِهِ حَضارَتُهُمْ: الكِتابَةَ!

وَقَدْ وُجِدَتْ أَعْدادٌ ضَخْمَةٌ مِنَ الأَلْواحِ الطِّينِيَّةِ المَرْقومَةِ في خَرائِبِ مُدُنِ وادي الرافِدَيْنِ. ويُلاحَظُ أَنَّ الأَقْدَمَ عَهْدًا مِنْها مَرْقومَةٌ بِالصُّوَرِ أَوِ الرُّموزِ الصُّوَرِيَّةِ المَرْسومَةِ عَلى عَجَلٍ. ثُمَّ تَحْمِلُ الرُّقُمُ الأَحْدَثُ عَهْدًا رُموزًا لا نَسْتَطيعُ تَمْييزَ شَيْءٍ مَعْروفٍ فيها. إِنَّها رُموزٌ تُمَثِّلُ أَشْياءَ. إِنَّها كِتابَةٌ.

لَقَدْ كانَتْ هذِهِ الرُّموزُ تُخَطُّ عَلى أَلْواحِ الطِّينِ الطَّرِيِّ بِقَلَمٍ مِنَ القَصَبِ مِسْماريٍّ (أَوْ إِسْفينِيٍّ) الطَّرَفِ ثُمَّ تُتْرَكُ لِتَجِفَّ. وَقَدْ أُطْلِقَ عَلى هذِهِ الرُّموزِ مُؤَخَّرًا «الحُروفُ المِسْمارِيَّةُ».

جَدْوَلٌ يُبَيِّنُ تَطَوُّرَ الرُّموزِ المِسْمارِيَّةِ مِنَ الرُّموزِ الصُّورِيَّةِ. ويُلاحَظُ أَنَّ الرَّمْزَ المِسْمارِيَّ ظَلَّ مُحْتَفِظًا إِلى حَدٍّ ما بِصورَةِ الشَّيْءِ المَوْصوفِ. بَيْنَما تَمَثَّلَتْ بَعْضُ الكَلِماتِ المِسْمارِيَّةِ بِأَصْواتِها بِالشَّكْلِ الَّذي كانَتْ تُلْفَظُ بِهِ

المعنى	الصورة	بابلي مُحدث	آشوري محدث	بابليّ قديم	آشوريّ قديم	أكادي قديم	سومَري		رَمْز صُوَري		
		حوالى ٦٠٠ ق م	حوالى ٧٠٠ ق م	حوالى ١٧٠٠ ق م	حوالى ١٩٠٠ ق م	حوالى ٢٢٠٠ ق م	حوالى ٢٤٠٠ ق م عمودي مسماري (إسفيني)		حوالى ٣١٠٠ - ٢٨٠٠ ق م قائم مدور مسمار		
مقدّم الرأس	عنق ورأس										
فم، سن، صوت، كلمة	خد و أسنان										
رجل	جسم مقنع										
طائر	طير جاثم										
ثور	رأس ثور										
إله، سماء	نجم										
ماء، بذرة، ابن	مجرى ماء										
بستان يسمو بكثب	أرض شجر										

وَمَعَ تَطَوُّرِ الرُّموزِ المِسْمارِيَّةِ أَصْبَحَتْ مُخْتَلِفَةً تَمامًا عَنِ الرُّموزِ الصُّوَرِيَّةِ. لَقَدْ صارَتْ تُمَثِّلُ أَصْواتًا - كَما الحُروفُ في لُغَتِنا - وَلَمْ تَعُدْ صُوَرًا لِأَشْياءَ حَقيقِيَّةٍ.

وَتَتَضَمَّنُ الكَثيرُ مِنَ الرُّقُمِ الطِّينِيَّةِ قَوائِمَ بِمُخْتَلِفِ أُمورِ الحَياةِ اليَوْمِيَّةِ: قَوائِمَ بِالأَطْعِمَةِ، وَأُخْرَى بِالمُعَدّاتِ الزِّراعِيَّةِ أَوْ بِتَفاصيلَ عَنِ اتِّفاقِيّاتِ وَصَفَقاتٍ تِجارِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ.

وَتُبَيِّنُ الرُّقُمُ بَعْضَ الاكْتِشافاتِ وَالإِنْجازاتِ الَّتي حَقَّقَها أَهْلُ وادي الرّافِدَيْنِ في الرِّياضِيّاتِ. فَقَدِ ابْتَدَعوا نِظامَيِ العَدِّ السِّتّينِيِّ وَالعَشْرِيِّ. وَقَدِ اعْتَمَدوا النِّظامَ السِّتّينِيَّ في الغالِبِ لِخاصِّيَّةِ العَدَدِ سِتّينَ الَّذي يَقْبَلُ القِسْمَةَ عَلى اثْنَيْنِ وَثَلاثَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَاثْنَيْ عَشَرَ وَخَمْسَةَ عَشَرَ وَعِشْرينَ وَثَلاثينَ. وَلا نَزالُ نَحْنُ نَسْتَخْدِمُ هذا النِّظامَ في حِساباتِ الوَقْتِ وَالزَّوايا. أَمّا النِّظامُ العَشْرِيُّ فَهُوَ نِظامُ العَدِّ السّائِدُ حالِيًّا في عالَمِ اليَوْمِ (في النَّقْدِ وَالقِياسِ).



كاتِبٌ يَخُطُّ رُموزًا مِسْمارِيَّةً عَلى الطّينِ الطَّرِيِّ مُسْتَخْدِمًا قَلَمَ بوصٍ مِسْمارِيٍّ (أَوْ إِسْفينِيِّ) السِّنِّ. وَتُصْبِحُ هذِهِ الكِتابَةُ راسِخَةً وَدائِمَةً عِنْدَ تَجْفيفِ الرَّقيمِ الطّينِيِّ في الشَّمْسِ أَوْ في فُرْنٍ خاصٍّ.

السّومَريّون


جُزْءٌ مِنْ ثَبتِ المَلِكِ الَّذي عُثِرَ عَلَيْهِ في حَفَرِيّاتِ مَدينَةِ خورساباد

السِّجِلّاتُ الَّتي دَوَّنَها الأَقْدَمونَ هِيَ المَرْجِعُ الأَفْضَلُ لِتَقَصّي أَخْبارِهِمْ وَتَعَرُّفِ شُؤونِ حَياتِهِمِ اليَوْمِيَّةِ. وَفي الأَلْواحِ المُخْتَصَرَةِ مِنْ وادي الرّافِدَيْنِ نَتَعَلَّمُ أَيْضًا أَسْماءَ مَشاهيرِ القَوْمِ وَنَتَعَرَّفُ القَليلَ عَنْ أَعْمالِهِمْ وَمَواطِنِهِمْ.

والرَّقيمُ الأَشْهَرُ والأَهَمُّ بَيْنَ آثارِ وادي الرّافِدَيْنِ هُوَ «ثَبَتُ المَلِكِ» الَّذي يَعودُ تاريخُهُ إِلى القَرْنِ الثّامِنَ عَشَرَ قَبْلَ الميلادِ. وَبَعْضُ أَخْبارِهِ تَتَحَدَّثُ حَتّى عَنْ مُلوكٍ أَقْدَمَ عَهْدًا. وَقَدْ وُجِدَ بَعْضُ هذِهِ الأَسْماءِ أَيْضًا مَنْقوشَةً عَلى الحَجَرِ أَوِ الآجُرِّ في المُدُنِ، مِمّا يَدْعو إِلى الاعْتِقادِ أَنَّ بَعْضَ تَسْجيلاتِ ثَبَتِ المَلِكِ، عَلى الأَقَلِّ، هِيَ أَخْبارٌ صَحيحَةٌ.

وفي ثَبَتِ المَلِكِ ذِكْرٌ لِعَدَدٍ مِنَ المُدُنِ مُعْظَمُها في المِنْطَقَةِ الجَنوبِيَّةِ مِنْ وادي الرّافِدَيْنِ. وَتَتَماثَلُ هذِهِ المُدُنُ في نَمَطِ البِناءِ وَأَشْكالِ الخَزَفِيّاتِ وَتَصاميمِ النُّقوشِ وَأُسْلوبِ الكِتابَةِ المِسْمارِيِّ. وَيُطْلِقُ المُؤَرِّخونَ عَلى هذِهِ المَجْموعَةِ مِنَ المُدُنِ الاسْمَ «سومَر».

تَقَعُ «مَري» إِحْدى مُدُنِ هذِهِ المَجْموعَةِ عَلى بُعْدِ بِضْعِ مِئاتٍ مِنَ الكيلومِتْراتِ نَحْوَ أَعالي الفُراتِ. وَحَيْثُ إِنَّها تُشارِكُ باقِيَ المُدُنِ السّومَرِيَّةِ حَضارَتَها، فَإِنَّهُ يُفْتَرَضُ أَنَّ المِلاحَةَ النَّهْرِيَّةَ كانَتْ سَبيلَها الأَيْسَرَ، هِيَ وَسِواها، لِلاتِّصالِ بِباقي المُدُنِ جَنوبِيَّ النَّهْرِ.

وَتُنْبِئُ بَعْضُ الرُّقُمِ (الأَلْواحِ المَرْقومَةِ) عَنْ عَلاقاتِ سَلامٍ بَيْنَ المُدُنِ - وَبِخاصَّةٍ عَلاقاتٍ تِجارِيَّةٍ. لكِنْ تُنْبِئُ أُخَرُ بِحُروبٍ وَمَعارِكَ سَبَبُها مَدّاداتُ المِياهِ وَمَوارِدُها. وَيُورِدُ ثَبَتُ المَلِكِ اسْمَ حاكِمٍ لِكُلِّ مَدينَةٍ، لكِنْ هُناكَ إِلْماعٌ إِلى أَنَّ حاكِمَ إِحْدى المُدُنِ كانَ يَتَمَتَّعُ أَحْيانًا بِسَيْطَرَةٍ عَلى الحُكّامِ الآخَرينَ، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ السَّيْطَرَةُ دائِمًا لِلْمَدينَةِ نَفْسِها. فالصّورَةُ الإِجْمالِيَّةُ لِلْمُجْتَمَعِ السّومَرِيِّ هِيَ مَجْموعَةٌ مُتَكامِلَةٌ مِنَ «الدُّوَلِ المَدينِيَّةِ» الَّتي كانَتْ تَتَمَتَّعُ بِاسْتِقْلالٍ كامِلٍ أَوْ شِبْهِ كامِلٍ بِحاكِمِها وَحُكومَتِها الخاصَّةِ. لكِنَّها كانَتْ تَرْبِطُها عَلاقاتٌ وَثيقَةٌ في التِّجارَةِ والثَّقافَةِ، كَما في المُنازَعاتِ. وَيُلاحَظُ أَنَّ السّومَرِيّينَ كانوا يَعْتَبِرونَ سومَرَ مَوْطِنًا واحِدًا يُسَمّونَهُ «البِلاد». وَهُمْ كانوا الشَّعْبَ الأَهَمَّ في المِنْطَقَةِ خِلالَ الخَمْسَةِ قُرونٍ بَيْنَ ٣٠٠٠ وَ ٢٥٠٠ قَبْلَ الميلادِ.

في المُقابِلِ: لَقَدْ شُيِّدَتْ غالِبِيَّةُ المُدُنِ السّومَرِيَّةِ في الطَّرَفِ الجَنوبِيِّ لِنَهْرِ الفُراتِ الَّذي يَسَّرَ الاتِّصالَ المِلاحِيَّ فيما بَيْنَها. وَيُلاحَظُ أَنَّ مَجْرى النَّهْرِ الحالِيَّ لا يَتَطابَقُ وَمَجْراهُ قَديمًا، إِذْ إِنَّهُ تَحَوَّلَ جَنوبًا حَوالَى القَرْنِ الرّابِعِ قَبْلَ الميلادِ تارِكًا بَعْضَ المُدُنِ الأَعْظَمِ أَهَمِّيَّةً مَعْزولَةً عَنْ باقي المُدُنِ



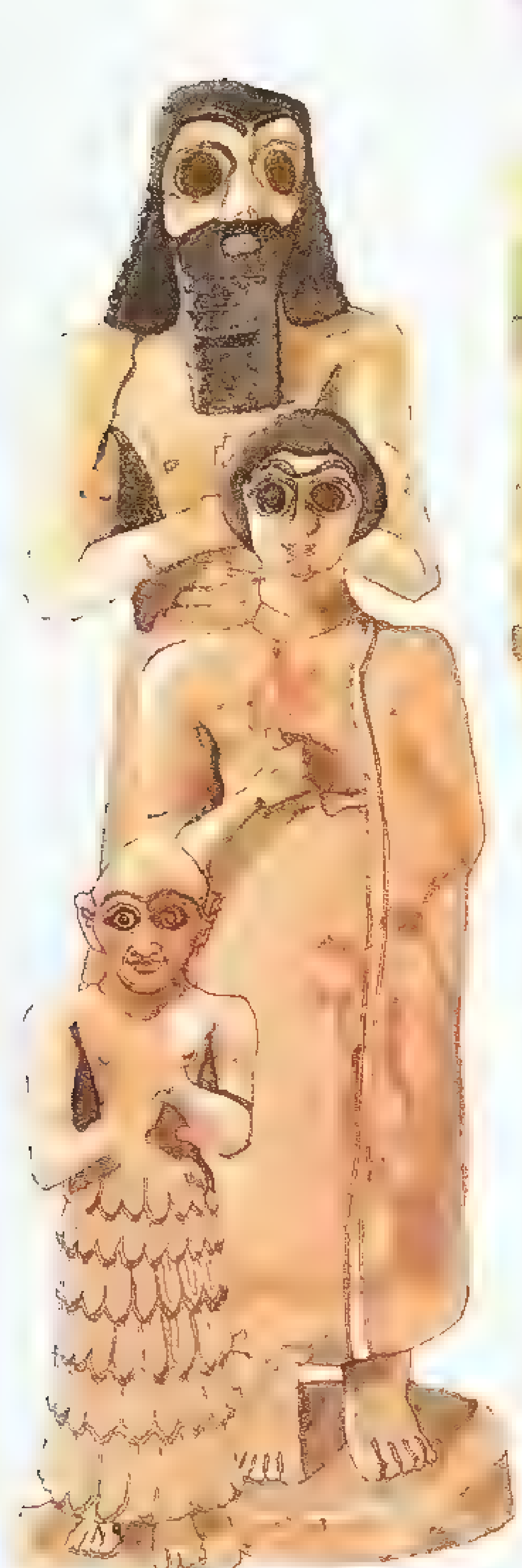


زقورة أور تتألف من ثلاث مصاطب متدرجة في المساحة. ويصعد إليها بثلاثة سلالم مشيدة بالآجر. ويقوم على المصطبة العليا قدس أقداس المدينة – وهو معبد صغير جميل مكرس لإله القمر «نانا»

كانت سلطة الحاكم ضمن مدينته قوية جدًا. ومعه كان ينظر إليه بشيء من القداسة التي تقتضي احترامًا خاصًا. ولا بد أنه كان ذا دور مهم في مراسم الاحتفالات الدينية. فالكثير من النقوش تمثل الحاكم (أو الملك) وهو يقدم القرابين للآلهة.

وفي أطلال مدينة أور التي سلمت من عوادي الزمن، أكثر من سواها، يتجلى الدور الكبير الذي كان للدين في حياة السومريين. وقد تم كشف آثار هذه المدينة قريبًا من [illegible] (الإحاثيين) بقيادة أشهر الاختصاصيين في آثار وادي الرافدين السير ليونارد وولي. وقد كشفت التنقيبات في بعض المواقع بيوتًا من طابقين لا يزال الطراش الجيري على جدرانها. كذلك تظهر أرصفة التحميل حيث كانت الزوارق النهرية تحمل أو تفرغ. وفي قلب المدينة الذي كان ميدانه مخصصًا للأنشطة الدينية تبدو مبنى الزقورة الضخم. وهو معبد مشيد فوق سلسلة مصاطب على شكل برج هرمي متدرج.

إلى أسفل. تماثيل النذور: لا يزيد طول أكبرها على ٧٦ سنتيمترًا.



كانَ لِكُلِّ مَدينَةٍ إلهٌ يَعْتَقِدُ السُّكّانُ أَنَّهُ يولي مَدينَتَهُمْ اهْتِمامًا خاصًّا وكانَ إلهُ أُوْرَ، على زَعْمِهِمْ، هُوَ إلهُ القَمَرِ نانا وقَدْ كُرِّسَ لِخِدْمَتِهِ المَعْبَدُ المُقامُ في أعْلى زِقُّورَةِ المَدينَةِ.

أَمّا أَشْهَرُ آلِهَةِ السومَرِيِّينَ فَهِيَ عَشْتارُ إلهَةُ الخِصْبِ، وكانَ رِضاها مَطْلوبًا لِضَمانِ الخِصْبِ في نَماءِ المَحاصيلِ وإِنْجابِ البَنينَ وتُمَثِّلُها الصُّوَرُ غالِبًا مَعَ حُزَمِ القَصَبِ. وهِيَ تَتَلَقّى سِلالَ الطَّعامِ والشَّرابِ.

ومِنْ حَفْرِيّاتِ سومَرَ الَّتي لا تُنْسَى تِلْكَ التَّماثيلُ الصَّغيرَةُ الَّتي عُثِرَ عَلَيْها بِكَمِّيّاتٍ ضَخْمَةٍ في أَساساتِ المَعابِدِ. وقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْها اسْمُ «تماثيل النُّذور» لِأَنَّهُ يُعْتَقَدُ أَنَّ المُتَعَبِّدينَ كانوا يُقَدِّمونَها نُذورًا لِلإِلهِ وهُمْ يَطْلُبونَ حِمايَتَهُ ويُلاحَظُ أَنَّ كُلًّا مِنْ هٰذِهِ التَّماثيلِ يَبْدو وهُوَ يُقَدِّمُ أَوْ يَحْمِلُ شَيْئًا. ويَجْلِبُ الاهْتِمامَ بِشَكْلٍ خاصٍّ كِبَرُ العُيونِ المُحَدِّقَةِ في هٰذِهِ التَّماثيلِ الَّتي يَرْتَدي بَعْضُها جَلابيبَ تُدعَى كَوناكيّات، وهِيَ أُزُرٌ ضَخْمَةٌ مِنَ الصُّوفِ كَأَنَّها صُنِعَتْ مِنْ ضَمائِمِ وُرَيْقاتِ الزُّهورِ.

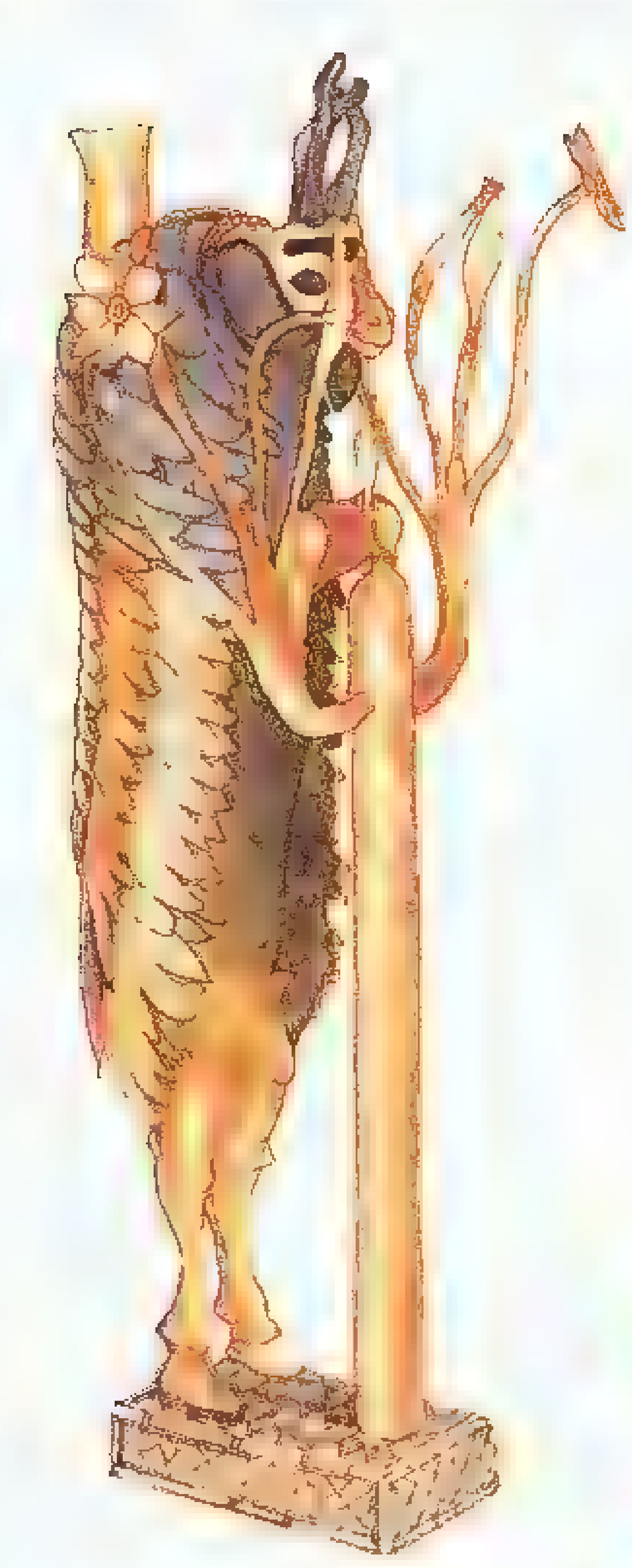
وفي أحدِ اكتشافاتِ السير وولي في أورَ تتوضّحُ لنا بالكاملِ صورةٌ عن جانبٍ من الحياةِ الاجتماعيّةِ في سومر. فقد كشفَ في تنقيباتِه في مقبرةِ أورَ عن سردابٍ مبطّنٍ بالآجرّ هو مدفنُ الملكةِ بو آبي، كما يُستدلُّ من الختمِ الأسطوانيِّ فوقَ جثّتِه. وإلى جانبِ الجثمانِ انتشرت فوقَ أرضيّةِ المقبرةِ هياكلُ عظميّةٌ لخمسِ نساءٍ في ثيابهنَّ الفاخرةِ وحليّهنَّ الأنيقةِ بالإضافةِ إلى هياكلِ خمسةِ جنودٍ وعازفِ جنكٍ، مع قيثارِه، وثورٍ لا يزالُ مشدودًا إلى عربتِه.

ومما يزيدُ المنظرَ إثارةً لقشعريرةِ الأبدانِ أكوابٌ صغيرةٌ تشدُّ عليها قبضاتُ الموتى المتعظّمة. فالواضحُ أنَّ هؤلاءِ جميعًا تناولوا السمَّ كي يرافقوا مليكتَهم في رحلتِها إلى العالمِ الآخر.

عندما توفّيتِ الملكةُ بو آبي رافقها إلى القبرِ خدّامُها المختارون حيث شربوا السمَّ ليبقوا في خدمتِها في الحياةِ الأخرى. وكانَ القبرُ مكتظًّا بمختلفِ الأشياءِ التي ظُنَّ أنَّ الملكةَ ستكونُ بحاجةٍ إليه.

وَيَبْدو أَنَّ العادَةَ جَرَتْ أَنْ يَتْرُكَ أُناسٌ يَموتونَ في قُبورِ مُلوكِهِمْ ومَلِكاتِهِمْ فَفي أَحَدِ المَدافِنِ عُثِرَ عَلى ثَمانٍ وسِتّينَ جُثَّةً لِأُناسٍ كانوا يَقومونَ عَلى خِدْمَةِ المَيْتِ المُتَوَفّى. وَقَدْ وُجِدَ كَثيرٌ مِنْ أَمْثالِ هٰذِهِ القُبورِ مِمّا يُبَيِّنُ أَنَّ السّومَرِيّينَ كانوا يُؤْمِنونَ بِمُلوكِهِمْ إِلى الحَدِّ الَّذي جَعَلَهُمْ يُضَحّونَ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَجْلِهِمْ.

لكِنَّ مُحْتَوَياتِ القُبورِ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلى هٰذِهِ الرُّؤى الرَّهيبَةِ، فَقَدْ وُجِدَ فيها الكَثيرُ مِنَ الأَشْياءِ الجَميلَةِ الثَّمينَةِ الَّتي تَشْهَدُ بِبَراعَةِ السّومَرِيّينَ ومَهاراتِهِمُ الفَنِّيَّةِ. وَمِنْ بَدائِعِ هٰذِهِ الأَشْياءِ الحُلِيُّ الذَّهَبِيَّةُ المُزَيَّنَةُ بِأَوْراقٍ فيها رَوْنَقُ الحَياةِ والآلاتُ المُوسيقِيَّةُ عَلى هَيْئَةِ الحَيَواناتِ، والتَّماثيلُ الغَريبَةُ كَتِمْثالِ الكَبْشِ القائِمِ إِلى جانِبِ شَجَرَةٍ.



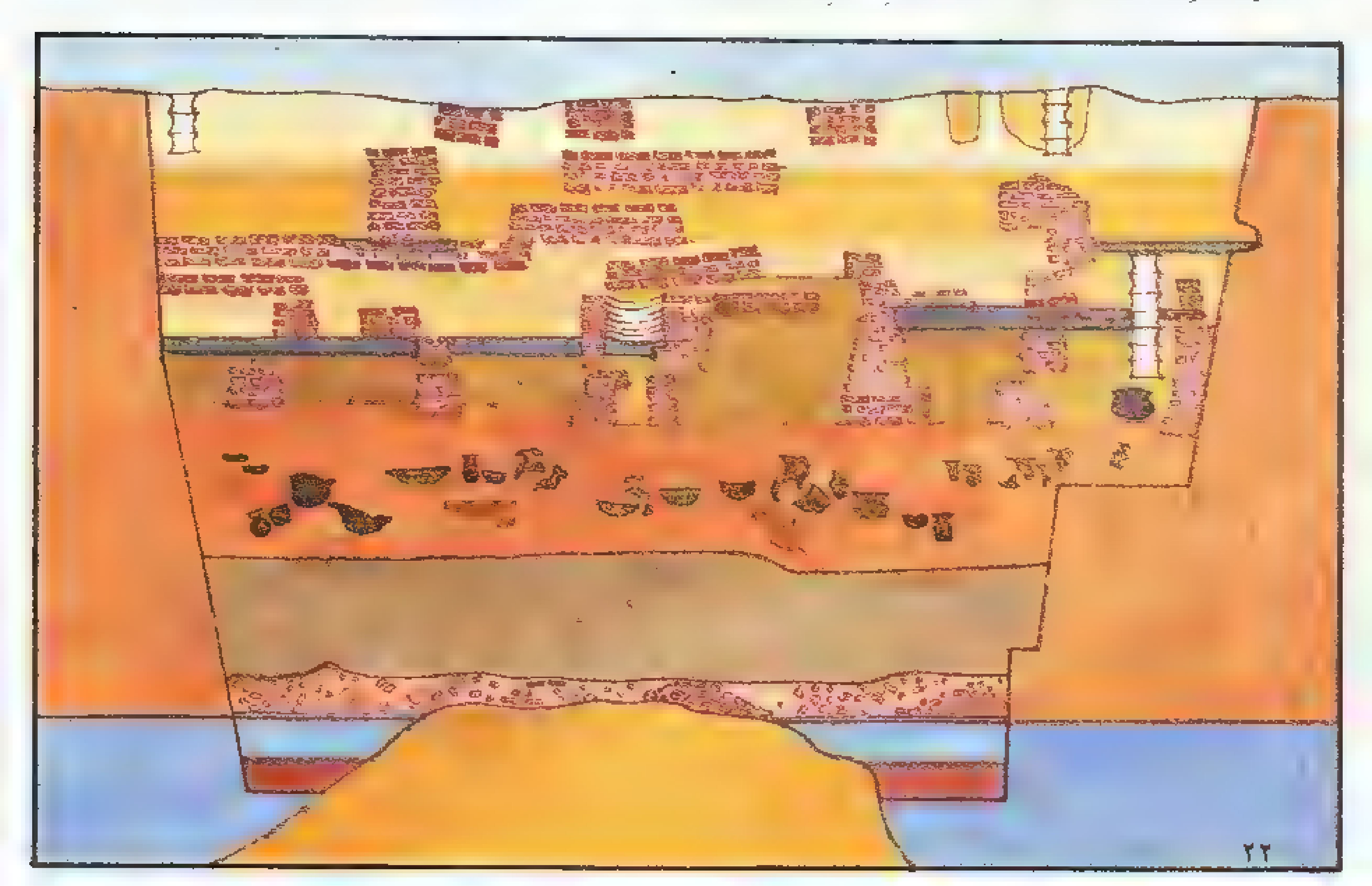
فَوْق: أَحَدُ الأَذْخارِ النَّفيسَةِ الكَثيرَةِ مِنْ مَوْجوداتِ القُبورِ المَلَكِيَّةِ - تِمْثالُ كَبْشٍ مُتَّكِئٍ على شَجَرَةٍ. وهُوَ مَصْنوعٌ مِنَ الصَّدَفِ والذَّهَبِ واللازَوَرْدِ.

وبالإضافة إلى ثبت الملوك وقوائم الألواح فإنَّ الآثارَ الباقيةَ حملَتْ إلينا بعضَ القصصِ. وتُعتَبَرُ ملحمةُ جلجامش الأثرَ الأهمَّ بينَ هذهِ الآثارِ الأدبيَّة، فهي تَحكي كيفَ أنَّ بطلًا في سعيهِ لكشفِ أسرارِ الخلودِ يقومُ بمُغامَراتٍ مُتعدِّدَةٍ، لكنْ دونَ طائلٍ.

وفي الملحمةِ وَصْفٌ لِطوفانٍ عَظيمٍ — كيفَ هبَّتِ الأنواءُ من الجنوبِ، وكيفَ ماجَتِ المياهُ وعلَتْ لِتغمُرَ المُدُنَ. وهيَ إلى جانبِ مضمونِها القصصيِّ الوجدانيِّ تُشيرُ إلى أحداثٍ ووقائعَ حقيقيَّةٍ كذِكْرِ الطُّوفانِ مثلًا. فهناكَ ذِكْرٌ للطُّوفانِ في ثبتِ الملوكِ. كذلكَ تذكُرُ التَّوراةُ والقرآنُ الطُّوفانَ العظيمَ الذي نجا منهُ نوحٌ ومَنْ معَهُ في فُلكِهِ المشحونِ.

والجديرُ بالذِّكرِ أنَّ تنقيباتِ ليونارد وولي في أُورَ أثبتَتْ تعرُّضَها لطوفانٍ عظيمٍ. فالطَّبقاتُ المتتاليةُ لبقايا القومِ الذين عاشوا على مدى القرونِ، تَقْطَعُها طَبَقَةٌ من الطِّينِ خاليةٌ من البقايا تليها بعدَ عُمْقٍ مُعيَّنٍ طبقاتٌ أُخرى مُشتَمِلَةٌ على بقايا البشرِ. فمِنَ الواضحِ، والحالةُ هذهِ، أنَّ المدينةَ في عهدٍ ما كانَتْ قدْ غُمِرَتْ تمامًا بالطِّينِ ومياهِ الطُّوفانِ.

مقطعٌ جانبيٌّ عُمْقيٌّ عبرَ الطَّبقاتِ في أُور. لقدْ بنى القومُ على مدى القرونِ فوقَ بقايا مبانٍ سالفةٍ، لكنْ هنالكَ طبقةٌ بطاقيَّةٌ منَ الطِّينِ تُبيِّنُ أنَّ طوفانًا عظيمًا اكتسحَ المدينةَ في غابرِ العصورِ





رَأْسٌ بُرونْزِيٌّ يُعْتَقَدُ أَنَّهُ يُمَثِّلُ المَلِكَ سَرْجُونَ مُؤَسِّسَ الإِمبراطورِيَّةِ الأَكَّادِيَّةِ.

وَتَتَّحِدُ سُومَرُ مَحَلِّيًّا مُخْتَلِفًا في عَهْدِ سَرْجُونَ عامَ ٢٣٧٠ ق.م.

تَقولُ الأُسْطورَةُ إِنَّ والِدَةَ سَرْجُونَ كانَتْ مِنْ نِساءِ المَعْبَدِ. ولَمّا وَلَدَتْهُ وَضَعَتْهُ في سَفَطٍ وأَلْقَتْ بِهِ في مِياهِ الفُراتِ حَيْثُ عَثَرَ عَلَيْهِ بُسْتانِيٌّ وَرَبّاهُ. ثُمَّ تَسَنَّى لِسَرْجُونَ التَّوَصُّلُ إِلى بَلاطِ المَلِكِ المَحَلِّيِّ كيش - ساقِيًا، ثُمَّ مَلِكًا. وَقَدْ عُثِرَ عَلى رَأْسٍ مِنَ البُرونْزِ جَميلِ الصِّناعَةِ يُعْتَقَدُ أَنَّهُ صورَةٌ لَهُ.

لَمْ يَقْنَعْ سَرْجُونُ القائِدُ العَسْكَرِيُّ المُمْتازُ بِحُكْمِ مَدينَةٍ واحِدَةٍ، فَأَخْضَعَ لِسُلْطانِهِ عِدَّةَ مُدُنٍ في سُومَرَ، وأَخيرًا شَمِلَتْ سُلْطَتُهُ كامِلَ وادي الرّافِدَيْنِ. وبِقَضاءِ سَرْجُونَ عَلى اسْتِقْلالِيَةِ تِلْكَ المُدُنِ - كَما كانَتِ الحالُ سالِفًا - تَمَّ لَهُ تَأْسيسُ أَوَّلِ إِمْبراطورِيَّةٍ في المِنْطَقَةِ عُرِفَتْ لاحِقًا بِالإِمْبراطورِيَّةِ الأَكَّادِيَّةِ، نِسْبَةً إِلى عاصِمَةِ مُلْكِهِ أَكّادَ.

وتابَعَ إِنْجازاتِ سَرْجُونَ ونَجاحاتِهِ حَفيدُهُ نارامْ سين الَّذي كانَ كَجَدِّهِ قائِدًا عَسْكَرِيًّا مُجيدًا. لٰكِنْ بَعْدَ وَفاةِ نارام سين غَزَتِ البِلادَ قَبائِلُ مِنَ الشَّمالِ اسْتَوْلَتْ عَلى أَكّادَ، فَما عادَ حاكِمٌ واحِدٌ يُسَيْطِرُ عَلى سُومَرَ. ويَقولُ ثَبَتُ المَلِكِ في ذٰلِكَ «مَنِ الَّذي كانَ مَلِكًا؟ مَنِ الَّذي لَمْ يَكُنْ؟»

مَنِ الَّذي كانَ مَلِكًا؟
مَنِ الَّذي لَمْ يَكُنْ؟



الواضِحُ أَنَّ تَعاقُبَ السَّيْطَرَةِ المُوَسَّعَةِ تَكَرَّرَ مَرّاتٍ مُتَتالِيَةً. إِذْ تَتَزايَدُ قُوَّةُ إِحْدى المُدُنِ فَتَبْسُطُ سَيْطَرَتَها عَلى المُدُنِ الأُخْرى بِضْعَ سَنَواتٍ، ثُمَّ تَتَكاتَفُ بَعْضُ المُدُنِ فَتَهْزِمُها، أَوْ تَنْدَفِعُ قَبائِلُ مِنَ المَناطِقِ الجَبَلِيَّةِ فَتَجْتاحُ المُدُنَ الغَنِيَّةَ وَتَنْهَبُها. لٰكِنْ هُناكَ ثَغَراتٌ واسِعَةٌ في مَعْلوماتِنا عَنْ هٰذِهِ الأَقْوامِ وَتاريخِها وَطَرائِقِ مَعيشَتِها؛ وَما لَدَيْنا عَنْهُمْ هُوَ مِنْ قَبيلِ التَّخْمينِ في غالِبِيَّتِهِ.

مِنَ الشَّخْصِيّاتِ الَّتي بَرَزَتْ بَعْدَ الفَوْضى الَّتي تَلَتْ مَوْتَ نارام سين، حَفيدِ سَرْجون، غوديا مَلِكُ لَكَش. وَتَتَجَلّى شُهْرَتُهُ في الكَثيرِ مِنَ النُّقوشِ الَّتي تَصِفُ أَعْمالَهُ. وَقَدْ عُثِرَ عَلى كَثيرٍ مِنَ المَنْحوتاتِ مِنْ هٰذا العَهْدِ. وَيُعْتَقَدُ أَنَّ الكَثيرَ مِنْها هُوَ لِلْمَلِكِ غوديا نَفْسِهِ. إِنَّ كَثْرَةَ النُّقوشِ تَزيدُ اهْتِمامَ النّاسِ بِغوديا طَبْعًا. لٰكِنَّ ذٰلِكَ لا يَعْني بِالضَّرورَةِ أَنَّهُ الأَهَمُّ بَيْنَ المُلوكِ الآخَرينَ الَّذينَ لا نَكادُ نَعْرِفُ شَيْئًا عَنْهُمْ

فَوْقَ: تِمْثالٌ مِنَ الحَجَرِ يُعْتَقَدُ أَنَّهُ لِلْمَلِكِ غوديا مَلِكَ مَدينَةِ لَكَش الَّتي ازْدَهَرَتْ في عَهْدِهِ (حوالى ٢١٤٤ – ٢١٢٤ ق.م).

وبفضل تنقيبات السير ليونارد وولي واكتشافاته فإننا نعرف الكثير عن مدينة أور والأسر التي حكمتها، وبخاصة الأسرة الثالثة فيما بين ٢١٠٠ و ٢٠٠٠ ق.م. وتشهد زقورة أور التي بنيت في هذه الفترة على مدى ما حققته أور من ازدهار وتقدم. لكن هذا الازدهار كان نهاية أمجاد السومريين إذ أطاح بهم العيلاميون - وهم غزاة من الشرق - فاجتاحوا مدينتهم أور وأخذوا مليكها أسيرا.

ثم تلت فترة أخرى من الفوضى بسبب النزاعات شمالي أور بين مدينتي لارسا وإيسين للسيطرة على المنطقة.



الغزاة العيلاميون يحملون أسيرهم – آخر ملوك أور



وَيُمْكِنُ الحُصُولُ على صُورَةٍ لِلْحَياةِ والأَحْداثِ، في الحِقْبَةِ الَّتي تَلَتْ، في مَدينَةِ مَرِي السُّومَرِيَّةِ في أَعالي الفُراتِ. فَقَدْ عُثِرَ في بَقايا القَصْرِ المَلَكِيِّ ذي الخَمْسِمِائَةِ حُجْرَةٍ، في هذِهِ المَدينَةِ، على مَجْموعَةٍ ضَخْمَةٍ مِنَ الرُّقُمِ المِسْمارِيَّةِ تُسَجِّلُ مُخْتَلِفَ الأَحْداثِ الَّتي جَرَتْ هُناكَ بَيْنَ الأَعْوامِ ١٨١٠ وَ ١٧٦٠ ق. م. وَتَشْمَلُ الرُّقُمُ رَسائِلَ إِلى المُلوكِ مِنْ رَعاياهُمْ ونُسَخًا عَنْ رَسائِلِ المُلوكِ وعَلاقاتِ مَرِي بِالمَمالِكِ الأُخْرى. وَمِنَ الرُّقُمِ ما هُوَ مُخْتَصٌّ بِأُمورِ التِّجارَةِ أَوِ الحُكْمِ والإِدارَةِ أَوِ القَضايا القانونِيَّةِ.

وَفي الرُّقُمِ أَيْضًا تاريخٌ لِبَعْضِ مَشاهيرِ المُلوكِ مِثْلِ شَمْشي عاصِدْ مَلِكِ آشورَ الَّذي اسْتَوْلى على مَرِي عامَ ١٨١٤ ق. م. وقَتَلَ مَلِكَها وأَوْلادَهُ إِلَّا واحِدًا. وقَدْ تَرَكَ شَمْشي أَحَدَ وَلَدَيْهِ جَسْما عاصادَ مَلِكًا على مَرِي، ثُمَّ مَلَّكَ الآخَرَ، إِشْمي داغان، قِسْمًا مِنْ آشورَ نَفْسِها. وتَتَضَمَّنُ الرُّقُمُ رَسائِلَ مُتَبادَلَةً بَيْنَ الوالِدِ وابْنَيْهِ. وَمِنْها نَعْلَمُ أَنَّ جَسْما كانَ ضَعيفًا مَلومًا كَثيرَ المَتاعِبِ بِالمُقارَنَةِ مَعَ أَخيهِ إِشْمي الَّذي أَضْحى فيما بَعْدُ حاكِمًا لِآشورَ بِكامِلِها.

أَمَّا جَسْما عاصادَ فَلَمْ يَطُلْ عَهْدُهُ إِذِ اسْتَطاعَ ابْنُ مَلِكِ مَرِي السابِقِ التَّغَلُّبَ عَلَيْهِ وَطَرْدَهُ. وَلَمْ تُجْدِ مُحاوَلاتُ إِشْمي داغانَ في إِنْقاذِ أَخيهِ جَسْما مِنْ تِلْكَ الهَزيمَةِ.

فَوْق: صُورَةٌ جِدارِيَّةٌ مِنْ قَصْرِ المَلِكِ زِمْريليم في مَدينَةِ مَرِي (تَلّ حَريري اليَوْمَ في مُحافَظَةِ دَيْرِ الزُّورِ) على الضِّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِنَهْرِ الفُراتِ

في المُقابِل: كانَ جَسْما عاصادُ حاكِمًا ضَعيفًا وعاجِزًا في مَرِي. فَلَمْ يَطُلْ بِهِ العَهْدُ حَتّى اسْتَطاعَ ابْنُ المَلِكِ السّابِقِ هَزيمَتَهُ - فَفَرَّ مُلْتَجِئًا إِلى مَمْلَكَةِ أَخيهِ في آشور

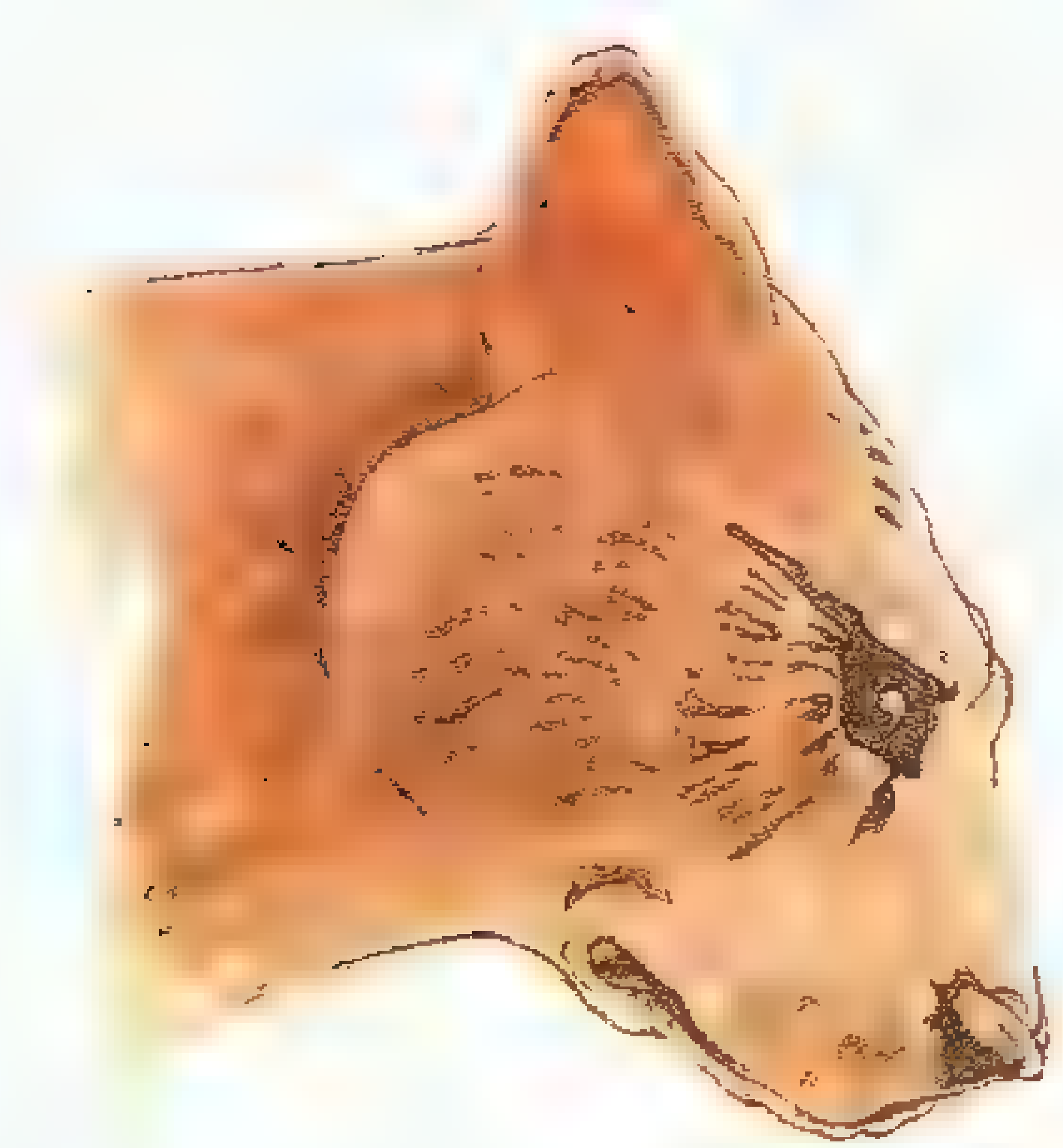


ولعلّ الحاكمَ الأشهرَ في تلكَ العصورِ كانَ حمورابي الذي ملكَ مدينةَ بابلَ بينَ ١٧٩٢ وَ ١٧٥٠ ق. م. فقدِ استطاعَ أنْ يُوحِّدَ تحتَ سُلطتِهِ القسمَ الأكبرَ منْ وادي الرافدينْ وأقساماً منَ الشرقِ الأوسطِ. وتعودُ شهرةُ حمورابي بشكلٍ خاصٍّ إلى مسلّتِهِ الشهيرةِ المنقوشِ عليْها ما يُعرفُ بشريعةِ حمورابي الشهيرةِ عالميًّا قديماً وحديثاً. وفي الجزءِ العلويِّ منَ المسلّةِ نقشٌ يُمثّلُ إلهَ العدالةِ – شمشَ – يمنحُ حمورابي الشريعةَ.

تحتوي المسلّةُ على ٢٨٢ مادّةً تعالجُ مختلفَ الشؤونِ الحياتيّةِ في التجارةِ وضريبةِ المعابدِ والقروضِ والبيوعِ والإيجاراتِ وعقوباتِ المهملينَ في عمليّاتِ الريِّ منَ المزارعينَ. كما تتضمّنُ نصوصاً حولَ الزواجِ والطلاقِ والتبنّي واستحقاقاتِ الأراملِ، بالإضافةِ إلى تحديدِ عقوباتِ السرقةِ وسواها منَ الجنحِ والجرائمِ كما للمهملينَ في أداءِ وظائفِهمْ كبناةِ الزوارقِ التي تغرقُ، والأطبّاءِ الذينَ يؤدونَ بمرضاهمْ إلى التهلكةِ. وهكذا تعكسُ الشريعةُ نظمَ مجتمعٍ حضاريٍّ عريقٍ.



الجزءُ العلويُّ الأماميُّ من مسلّة حمورابي الشهيرة يمثّلهُ وهوَ يتسلّمُ «الشريعة» منْ إله العدالةِ، شمش. ويحتوي الجزءُ السفليُّ من المسلّةِ على ٢٨٢ مادّةً في ٣٦٠٠ سطرٍ منقوشةٍ بالحروفِ المسماريّةِ على البازلتِ الأسود. والمسلّةُ منْ محفوظاتِ متحفِ اللوفر في باريس.



رَأْسُ لَبُوَةٍ مُشَكَّلٌ مِنَ الصَّلْصالِ. وهُوَ مِنَ القِطَعِ الفَنِّيَّةِ القَليلَةِ الَّتي عُثِرَ عَلَيْها مِنْ آثارِ الكَشِّيّينَ.

رُغْمَ ازْدِهارِ بابِلَ في عَهْدِ حَمُورابي فَإِنَّ هٰذِهِ المَدينَةَ لَمْ تَحْكُمْ بِلادَ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ. فَمُنْذُ وَفاةِ حَمُورابي عام ١٧٥٠ ق.م. حَتّى قِيامِ آشُورَ في القَرْنِ الرّابِعَ عَشَرَ ق.م.، يَروي التّاريخُ أَخْبارَ مَوْجاتِ الغُزاةِ القادِمينَ مِنْ شَمالِيِّ البِلادِ وشَرْقِيِّها. وَفي العامِ ١٥٩٥ ق.م. سَقَطَتْ بابِلُ في أَيْدي الحِثِّيِّينَ الَّذينَ حَكَموها بِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ فَقَطْ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ المَدينَةُ في أَيْدي الكَشِّيّينَ الَّذين حَكَموها مُدَّةَ أَرْبَعَةِ قُرونٍ.

وَقَدْ أَسَّسَ الحُورِيُّونَ، وهُمْ جَماعَةٌ أُخْرى مِنَ الغُزاةِ، مَمْلَكَةً لَهُمُ اسْمُها «ميتاني» عَلى ضِفافِ دِجْلَةَ شَمالِيَّ بابِلَ.

وحَوالَى العام ١٢٠٠ ق.م. اجْتاحَتِ المِنْطَقَةَ جَماعاتٌ أُخْرى مِنَ الغُزاةِ القادِمينَ مِنْ شَماليِّ حَوْضِ البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ. فَعُرِفوا لِذٰلِكَ بِاسْمِ «الأَقْوامِ البَحْرِيِّين».

وَمَعْلوماتُنا عَنْ مُخْتَلِفِ هٰذِهِ الأَقْوامِ شَحيحَةٌ نَظَرًا لِقِلَّةِ ما تَرَكُوا وَراءَهُمْ مِنْ أَثَرٍ. فَالكَشِّيُّونَ في بابِلَ مَثَلًا أَبْقَوا عَلى التَّقاليدِ البابِلِيَّةِ في العِمارَةِ والعِبادَةِ، فَلَمْ يَتَّخِذوا لِأَنْفُسِهِمْ أَساليبَ وطَرائِقَ خاصَّةً في العَمَلِ، أَوْ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْ آثارِ هٰذِهِ الطَّرائِقِ والأَساليبِ إِنْ كانوا قَدِ اتَّخذوها. فَهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا مِنَ التَّماثيلِ أَوِ الرُّقُمِ اللَّوْحِيَّةِ ما يُعَرِّفُ بِحُكّامِهِمْ أَوْ بِآلِهَتِهِمْ. ولَعَلَّهُمْ حينَ اسْتَوْلَوا عَلى الحُكْمِ في بابِلَ تَرَكُوا النّاسَ العادِيِّينَ يَسْتَمِرُّونَ في أُمورِهِمِ المَعيشِيَّةِ دُونَ تَغْييرٍ يُذْكَرُ.

الأَشوريُّون

حَوالى القَرْنِ العاشِرِ ق م بدأَتْ تَظْهَرُ طَلائِعُ ثاني أَهَمِّ حَضاراتِ وادي الرافِدَيْنِ القَديمَةِ. وكانَ الأَشوريُّونَ قَدْ أَسَّسوا دُوَيْلَةً لَهُمْ في مَدينَتِهِمْ أَشورَ في أَعالي نَهْرِ دِجْلَة، دُونَ أَنْ يَكونَ لَهُمْ شَأْنٌ يُذْكَرُ، طَوالَ قُرونٍ مَوْصى الَّتي تَبِعَتْ انْهيارَ الإِمْبراطورِيَّةِ الأَكَّدِيَّة. وَقَدْ قَوِيَتْ شَوْكَتُهُمْ فَتَراتٍ قَصيرَةً في عَهْدِ المَلِكِ شَمْشي عاضِدَ وَوَلَدِهِ إِشْمي داغان، لكِنَّهُمْ في بِدايَةِ هذا القَرْنِ بَرَزوا بِسُرْعَةٍ عَلى مَسْرَحِ الأَحْداثِ، بِزَعامَةِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الحُكّامِ القَديرينَ، لِيُصْبِحوا إِمْبراطورِيَّةً عَسْكَرِيَّةً عُظْمى.

أَوَّلُ سُلالَةِ الحُكّامِ الفاتِحينَ هٰذِه، كانَ أَشورَ ناصِر بال الثاني (٨٨٣ و٨٥٩ ق م)، الَّذي نَقَلَ عاصِمَتَهُ شَمالاً إِلى مَدينَةِ نِمْرودَ عَلى الضَّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِنَهْرِ دِجْلَة. وَمِنْها امْتَدَّتْ فُتوحاتُهُ غَرْبًا حَتّى شَواطِئِ البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ. وَقَدْ خَلَفَ أَشورَ ناصِر بالَ وَلَدُهُ شَلْما نَصَّر الثالِثُ الَّذي تابَعَ فُتوحاتِ والِدِهِ وانْتِصاراتِهِ.

وَمِنَ الحُكّامِ المَشْهورينَ بَعْدَ شَلْما نَصَّر بَرَزَ القائِدُ تِجْلات بِليسَر (٧٤٥ إِلى ٧٢١ ق.م) الَّذي وَسَّعَ حُدودَ إِمْبراطورِيَّتِهِ حَتّى مِصْرَ. وَقَدْ حَقَّقَ تِجْلاتُ تَحْسيناتٍ عَديدَةً في أَساليبِ الإِدارَةِ والبَريدِ مَكَّنَتْهُ مِنْ إِحْكامِ السَّيْطَرَةِ عَلى مُخْتَلِفِ البِلادِ الَّتي كانَ يَحْكُمُها.

خَريطَةُ الإِمْبراطورِيَّةِ الأَشورِيَّة: وتُبَيِّنُ المَناطِقُ الخَضْراءُ التَّرْقينِ مَدى امْتِدادِ حُكْمِ الأَشورِيِّينَ في عَهْدِ المَلِكِ أَشور بانيبال (حوالى ٦٥٠ ق م)



أشور بانيبال وزوجته يحتفلان في إحدى الحدائق (عن نقش جداري بارز من حفريات نينوى)

خَلَفَ تِجْلاتَ ابْنُهُ سَرْجون الثاني (٧٢١ إلى ٧٠٥ ق.م) الَّذي امْتَدَّتْ فُتوحاتُه إلى كُرْدِستانَ. وَقَدْ وَلِيَهُ ابْنُهُ سَنْحاريبُ القائِدُ المَشْهورُ (٧٠٥ إلى ٦٨١ ق.م) الَّذي أعادَ بِناءَ نينَوى بِفَخامَتِها وَحَدائِقِها، وَكانَ قَدْ مَدَّ إِلَيْها المِياهَ العَذْبَةَ في أَنابيبَ مِنْ جِبالٍ تَبْعُدُ عَنْها ٨٠ كيلومِتْرًا. وتُسَجِّلُ لَنا نُقوشُ المَدينَةِ ومَنْحوتاتُها الكَثيرَ مِنَ المَعْلوماتِ عَنْ عَهْدِهِ.

وَقَدْ لاقَى سَنْحاريبُ حَتْفَهُ عَلى أَيْدي اثْنَيْنِ مِنْ أَبْنائِهِ. لكِنَّ الابْنَ الثالِثَ – أَسِرْحَدّونَ – هُوَ الَّذي تَوَلَّى المُلْكَ بَعْدَهُ. وَالمَعْروفُ عَنْ أَسِرْحَدّونَ أَنَّهُ حَقَّقَ لِأَشورَ أَكْبَرَ انْتِصاراتِها بِفَتْحِ مِصْرَ، وَكانَتْ مِصْرُ بِحَضارَتِها وغِناها المُنافِسَ الأَكْبَرَ لِأَشورَ. ونَذْكُرُ أَنَّ هٰذا الإِنْجازَ لَمْ يَدُمْ طَويلًا، فَقَدْ تَخَلَّصَتْ مِصْرُ مِنْ سَيْطَرَتِهِ قَبْلَ وَفاتِهِ (٦٦٨ ق.م) وَلٰكِنَّ ابْنَهُ أَشورَ بانيبال، آخِرَ مُلوكِ أَشورَ العِظامِ، أَعادَ فَتْحَها وَأَقامَ عَلَيْها حاكِمًا مَحَلِّيًّا اسْتَقَلَّ بِها فيما بَعْدُ



نَقْشٌ بارِزٌ مِنْ نِمْرودَ يُبَيِّنُ المَلِكَ المُنْتَصِرَ تجلات بليسَر الثّالِث.

لَقَدْ تَوَصَّلَ المُؤَرِّخونَ إلى تَفاصيلِ هٰذهِ الأَحْداثِ بِفَضْلِ ما احْتَفَرَهُ عُلَماءُ الآثارِ مِنَ المُسَجَّلاتِ. فَقَدِ اعْتادَ مُلوكُ الأَشوريّينَ تَسْجيلَ مَآثِرِهِمْ في نُقوشِ القُصورِ الَّتي شَيَّدوها. فَالمَناظِرُ المَنْقوشَةُ عَلى الحَجَرِ سِجِلّاتٌ حافِلَةٌ بِالمَعارِكِ الَّتي خاضوها إلى جانِبِ أَسْرى وَقَتْلى الشُّعوبِ الَّذينَ انْتَصَروا عَلَيْهِمْ.

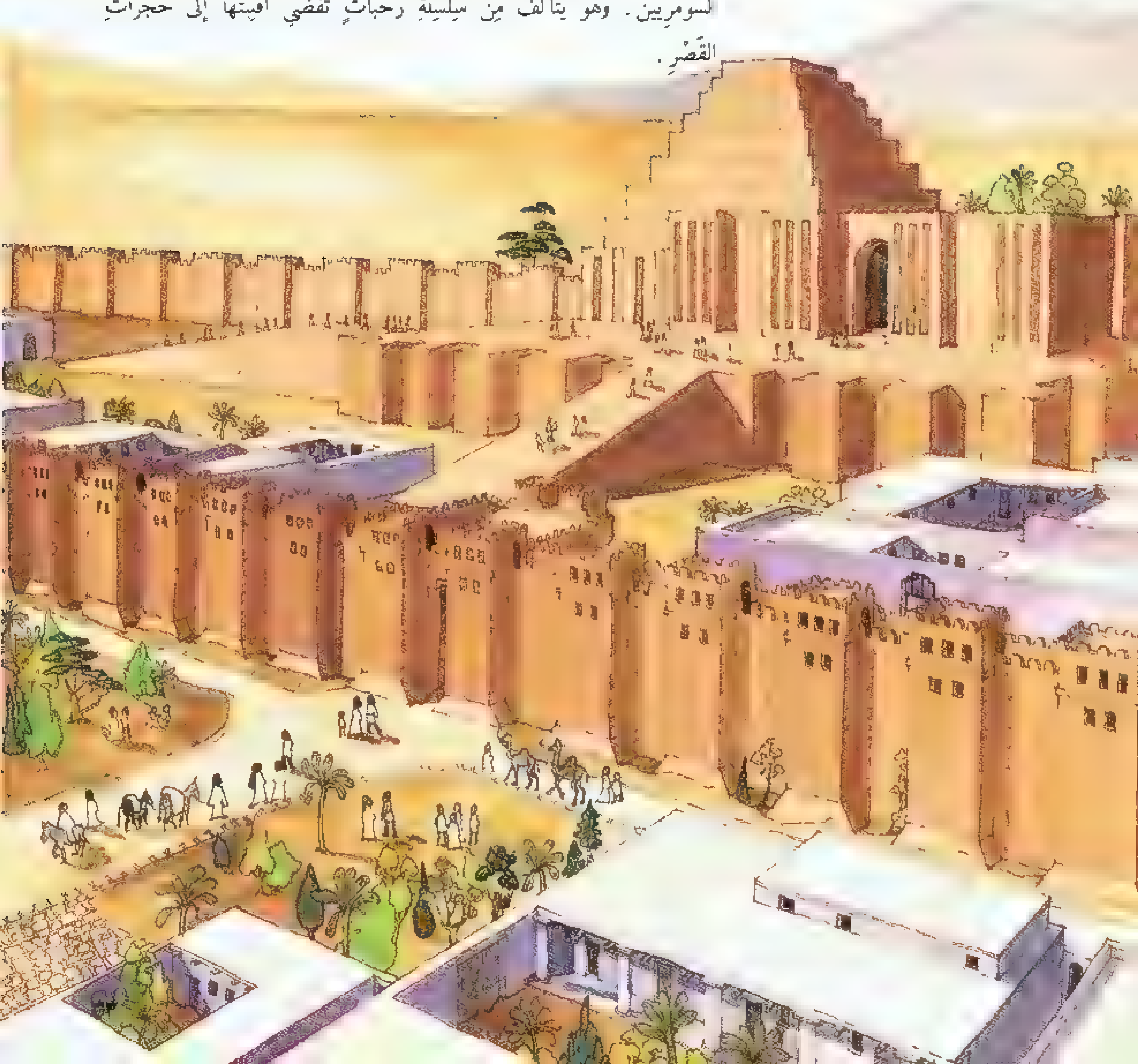
وتُظْهِرُ الحَفْرِيّاتُ تبايُناتٍ مُحَدَّدَةً بَيْنَ المُدُنِ الأَشوريَّةِ والسُّومَرِيَّةِ. فَالمَباني الفَخْمَةُ الأَعْظَمُ في المُدُنِ السُّومَرِيَّةِ هِيَ المَعابِدُ، بَيْنَما هِيَ في المُدُنِ الأَشوريَّةِ قُصورُ المُلوكِ.

ويَعْتَبِرُ عُلَماءُ الآثارِ مَدينَةَ خورساباد الأَفْضَلَ بَيْنَ المُدُنِ الأَشوريَّةِ. وَقَدْ شَيَّدَ هٰذِهِ المَدينَةَ سَرْجونُ الثاني كَمَدينَةٍ جَديدَةٍ بِالكامِلِ، واتَّخَذَها عاصِمَةً لَهُ بَدَلًا مِنْ مَدينَةِ نِمْرودَ.

قَصْرُ المَلِكِ سَرْجونَ الثّاني، المُشادُ عَلى مِصطَبَةٍ مُعَلاَّةٍ، يُشْرِفُ عَلى مَدينَةِ خورْساباد

وبِالْمُقارَنَةِ مَعَ بَعْضِ المُدُنِ الأُخْرى، فَقَدْ كانَ مِنَ اليَسيرِ عَلى عُلَماءِ الآثارِ اسْتِبْيانُ هَيْكَلِيَّةِ مَدينَةِ خورْسابادَ لِأَنَّها كُلَّها مُتَزامِنَةُ البِناءِ. ويُمْكِنُ لِلْمَرْءِ تَصَوُّرُ حَيْرَةِ عُلَماءِ الآثارِ في حَفْرِيّاتِ مَدينَةِ كَنيْنَوى حَيْثُ كانَ كُلُّ مَلِكٍ يُغَيِّرُ المَباني الَّتي يَتْرُكُها سَلَفُهُ، وعَلى عالِمِ الآثارِ أَنْ يَتَحَرّى أَيَّ قِسْمٍ يَخُصُّ أَيَّ عَهْدٍ.

ويَتَبَيَّنُ مِنِ اسْتِعادَةِ بيئَةِ خورسابادَ أَنَّ قَصْرَ سَرْجونَ يَتَوَسَّطُ العاصِمَةَ في جُزْئِها الأَعَزِّ تَحْصينًا. والقَصْرُ مُشادٌ فَوْقَ مَصاطِبَ مُرْتَفِعَةٍ تُذَكِّرُ بِمَعابِدِ السّومَرِيّينَ. وهُوَ يَتَأَلَّفُ مِنْ سِلْسِلَةِ رَحَباتٍ تُفْضي أَفْنِيَتُها إِلى حُجُراتِ القَصْرِ.

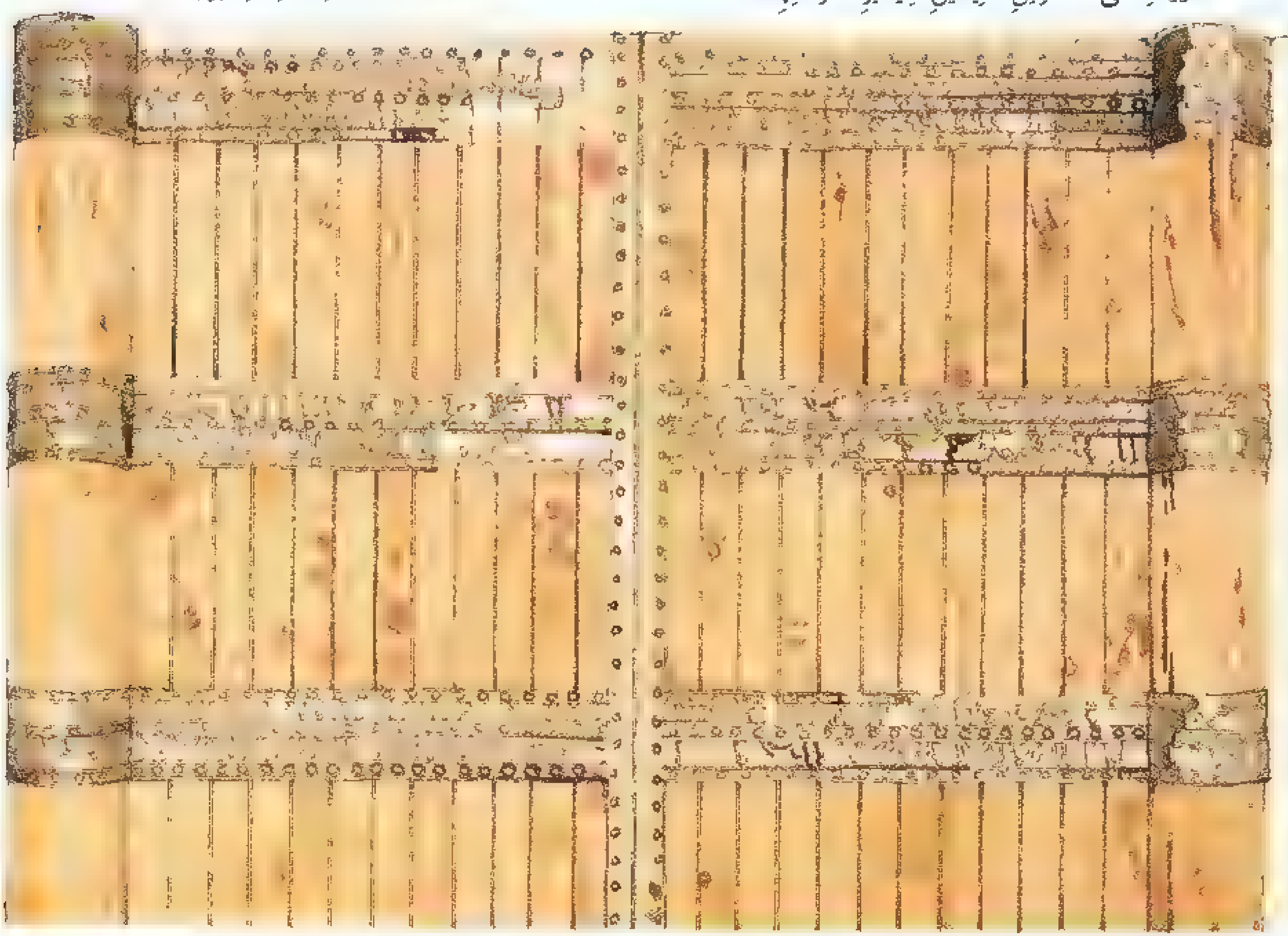


كانَتْ عَمائِرُ المُلوكِ الأشوريِّينَ غَنِيَّةً بِالمَنْحوتاتِ الزَّينِيَّةِ. وقَدْ جَرَتِ العادَةُ أَنْ تُزَيِّنَ جَوانِبُ البَوّاباتِ وَالمَداخِلِ بِتِمْثالَيْنِ حارِسَيْنِ عَلى هَيْئَةِ وُحوشٍ أُسْطورِيَّةٍ لَها وُجوهُ البَشَرِ وَأَجْسامُ الحَيَواناتِ، وَغالِبًا ما تَكونُ مُجَنَّحَةً أَيْضًا. ويُلاحَظُ أَنَّ لِلتِّمْثالِ خَمْسَ أَرْجُلٍ بِحَيْثُ يَبْدو لكَ سائِرًا عَلى أَرْبَعٍ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيهِ مُجانَبَةً، أَوْ واقِفًا عَلى اثْنَتَيْنِ إِنْ نَظَرْتَهُ مُواجَهَةً.

وتُزَيِّنُ غُرَفَ القَصْرِ لَوْحاتٌ حَجَرِيَّةٌ بَديعَةٌ نُقِشَتْ بِمَشاهِدِ المَعارِكِ أَوْ مُغامَراتِ الصَّيْدِ.

والقِطَعُ الفَنِّيَّةُ اللّافِتَةُ الأُخْرى في هذِهِ القُصورِ هِيَ الأَبْوابُ الَّتي عُثِرَ عَلى الكَثيرِ مِنْ مَصاريعِها المُزْدَوِجَةِ. وهِيَ مَصاريعُ ضَخْمَةٌ مِنَ الخَشَبِ المُصْمَتِ مُزَيَّنَةٌ بِأَطْواقٍ عَريضَةٍ مِنَ البُرونْزِ نُقِشَتْ بِالمَشاهِدِ الحَرْبِيَّةِ. وَالمِصْراعانِ مُعَلَّقانِ في عِضادَتَيْنِ ضَخْمَتَيْنِ مُثَبَّتَتَيْنِ في جانِبَيِ الجِدارِ تَدورانِ عَلى حَجَرَيْنِ مَلِسَيْنِ لِتَيْسيرِ حَرَكَتِهِما.

الجُزْءُ السُّفْلِيُّ مِنْ مِصْراعَيْ بَوّابَةٍ أَشورِيَّةٍ ضَخْمَةٍ، وتَبْدو فيهِ أَطْواقُ البُرونْزِ المُزَيَّنَةُ الَّتي تَشُدُّ عَوارِضَ المِصْراعِ، والعِضادَتانِ الهائِلَتانِ اللَّتانِ تَحْمِلانِ البَوّابَةَ





ثور مجنح ذو رأس بشري من
خرائب قصر الملك آشور ناصربال في
مدينة نمرود



نَقْشٌ حَجَرِيٌّ نافِرٌ يُصَوِّرُ المَلِكَ أشور بانيبال، في رِحْلَةِ صَيْدٍ، يُعارِكُ أَسَدًا.

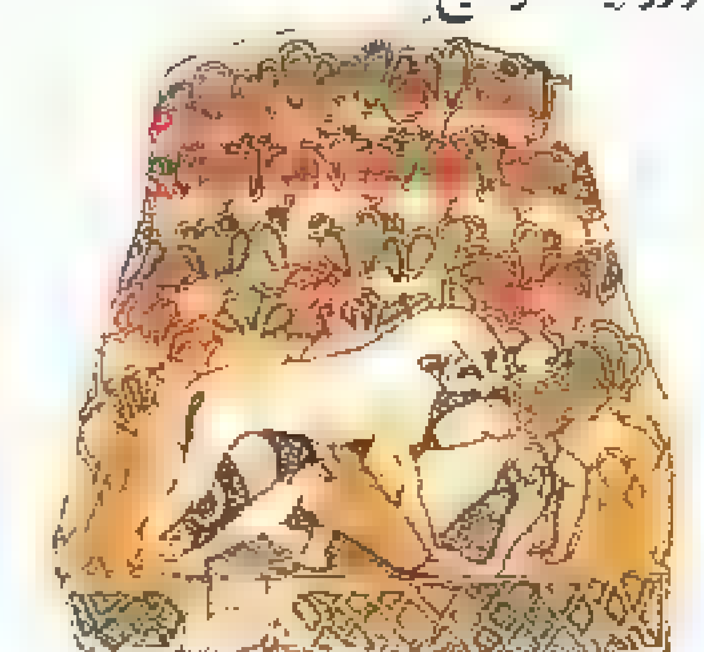
كانَ المُلوكُ الأشوريُّونَ مُولَعينَ بِالفُنونِ الجَميلَةِ والجَماليّاتِ. وتُعَدُّ بَعْضُ المَنْحوتاتِ الأشوريَّةِ بَيْنَ الأبهى في العالَمِ. ويَتَبَيَّنُ مِنْ رائِعَةِ صَيْدِ الأُسودِ النادِرَةِ النَّقْشِ، مِنْ حَفْرِيّاتِ نِينَوى، الَّتي تُبْرِزُ تَفاصيلَ جِسْمِ اللَّبُؤَةِ بِدِقَّةٍ، أنَّ فَنّاني أشورَ قَدْ خَبَرُوا الحَيَواناتِ ودَرَسوها عَنْ كَثَبٍ.

وقَدْ عُثِرَ عَلى مَجْموعاتٍ مِنَ المَنْحوتاتِ العاجِيَّةِ الرائِعَةِ، لَعَلَّ بَعْضَها مِنْ زِيناتِ الأثاثِ، في مَدينَةِ نِمْرودَ. ويَرى عُلَماءُ الآثارِ أنَّ هٰذِهِ المَنْحوتاتِ مُسْتَوْرَدَةٌ مِنَ المُدُنِ الفينيقيَّةِ.

وكَذٰلِكَ اهْتَمَّ مُلوكُ الأشوريِّينَ بِالآدابِ والعُلومِ، فَقَدْ كانَ لِكُلٍّ مِنْ سَنْحاريبَ وأشورَ بانيبالَ مَكْتَبَتُهُ الخاصَّةُ العامِرَةُ. وتَصِفُ رَسائِلُ أشورَ بانيبال كَيْفَ كانَ يَبْعَثُ رُسُلَهُ إلى سائِرِ أرْجاءِ الإمْبراطوريَّةِ لاسْتِكْمالِ مَكْتَبَتِهِ في قَصْرِهِ الخاصِّ. وقَدْ عُثِرَ في هٰذِهِ المَكْتَبَةِ عَلى أكْثَرَ مِنْ ٢٤ ألْفَ رَقيمٍ طينيٍّ في شَتّى حُقولِ المَعْرِفَةِ.

مَجْموعَةٌ مُخْتارَةٌ مِنَ المَنْحوتاتِ العاجِيَّةِ المُسْتَوْرَدَةِ مِنْ فينيقيا.

إلى أَسْفَل: لَوحَةٌ مَعْدَنِيَّةٌ صَغيرَةٌ لازَوَرْدِيَّةُ التَّرْصيع



لَقَدْ أَنْفَقَ لمُلوكُ ثَرَواتٍ طائِلَةً في تَحديدِ وتَزْيينِ المُدُنِ الَّتي اتَّخذوها عَواصِمَ لَهُمْ. والكَثيرُ مِنْ هٰذِهِ الثَّرَواتِ جاءَهُمْ مَعَ الفُتوحاتِ الَّتي حَقَّقَتْها جُيوشُهُمْ. لٰكِنَّ الثَّرْوَةَ والقُوَّةَ لا يَدُومانِ لِأَحَدٍ؛ فَالدَّوْلَةُ الَّتي تُسَيْطِرُ عَلى جيرانِها تَعَسُّفًا تُثيرُ عَداوَتَهُمْ عاجِلًا أَوْ آجِلًا.

وهٰكَذا تَأَلَّبَ أَعْداءُ الدَّوْلَةِ الأَشورِيَّةِ عَلَيْها لميدِيّونَ مِنَ الشَّمالِ والكَلْدانُ البابِلِيّونَ مِنَ لجَنوبِ - فَكانَ تَدْميرُ مَدينَتَيْ أَشورَ ونِمْرودَ عامَ ٦١٤ ق.م؛ وتَبِعَتْهُما نينَوى عامَ ٦١٢ ق.م بَعْدَ حِصارٍ لَمْ يَطُلْ، فَتَفَرَّقَ شَمْلُ البَلاطِ الأَشوريِّ وهَرَبَ مِنْهُمْ مَنْ هَرَبَ

لَقَدْ أَقامَ الأَشورِيّونَ في مَدى ٢٥٠ عامًا أَعْظَمَ الإِمْبَراطورِيّاتِ المُعاصِرَةِ حَتّى حينِهِ؛ لٰكِنَّ الانْهِيارَ كانَ سَريعًا، انْتَهى مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ إلى لا شَيْءٍ في بِضْعِ سَنَواتٍ!

زَخْرَفَةٌ تَحْمِلُ وَجْهَ امْرَأَةٍ.

تِمْثالٌ لِشَخْصٍ يَقودُ مَهاةً

كِتابٌ صُنِعَ مِنْ أَلْواحِ العاجِ المُشَمَّعَةِ

الكَلْدانِيُّونَ

بِسُقوطِ نينَوى عامَ ٦١٢ ق.م. بَدَأَتْ صَفْحَةٌ جَديدَةٌ مِنْ تاريخِ وادي الرافِدَيْنِ حَمَلَ فيها الكَلْدانِيُّونَ مِشْعَلَ الحَضارَةِ لِفَتْرَةٍ اِزْدَهَرَتْ فيها بابِلُ مُجَدَّدًا، وجَرى بَذَخُها وَفَخامَتُها مَجْرى الأَساطيرِ. ثُمَّ كانَ اسْتيلاءُ كورُشَ – مَلِكِ بِلادِ فارِسَ – عَلَيْها عامَ ٥٣٨ ق.م إِنْهاءً لِعُهودِ الاسْتِقلالِ الزّاهِرَةِ لِبِلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ.

تَتَوَفَّرُ مَعلوماتُنا عَنْ بابِلَ الثّانِيَةِ (كَما تُعْرَفُ تاريخِيًّا) لا مِنَ الحَفائِرِ وأَعْمالِ التَّنْقيبِ وسِجِلّاتِ المُلوكِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنَ المُسافِرينَ والرَّحّالَةِ الَّذينَ زاروا المَدينَةَ وكَتَبوا عَنْ مُشاهَداتِهِم.

فَوْق. مُخَطَّطُ مَدينَةِ بابِل.

إلى أَسْفَل: مَدينَةُ بابِل الرّائِعَةُ بِزَقُّورَتِها الشّاهِقَةِ ومَعْبَدِها المُكَرَّسِ لِإِلٰهِها مَرْدوك





أَشْهَرُ هؤلاءِ الرَّحّالَةِ المُؤَرِّخُ اليُونانيُّ هيرودُوتس (٤٨٤ – ٤٢٥ ق.م) الَّذي كَتَبَ بإسْهابٍ عَنِ المَدينَةِ يَقولُ: تَقَعُ بابِلُ في وادٍ فَسيحٍ وهِيَ مَدينَةٌ عَظيمَةٌ مُرَبَّعَةُ الشَّكْلِ، وهِيَ إلى اتِّساعِها الهائِلِ تَفُوقُ سائِرَ مُدُنِ العالَمِ في فَخامَتِها. والمَدينَةُ مَحوطَةٌ بِخَنْدَقِ تَحْصينٍ عَميقٍ تَمْلَؤُه المِياهُ، وداخِلَ الخَنْدَقِ سُورٌ تَعْبُرُهُ مِئَةُ بَوّابَةٍ كُلُّها مِنَ البُرونْز... ومَعْبَدُ المَدينَةِ بِناءٌ مُرَبَّعٌ ذو بَوّاباتٍ بُرونْزِيَّةٍ، وهُوَ يَرْتَفِعُ بُرْجًا فَوْقَ بُرْجٍ حَتَّى الثَّمانِيَةِ. وَنَصْعَدُ إلى الأَبْراجِ الثَّمانِيَةِ في دَرَجٍ لَوْلَبِيٍّ يَلْتَفُّ حَوالَيْها، وَفي مُنْتَصَفِ المَسارِ مَقاعِدُ للإسْتِراحَةِ... وهُنالِكَ الكَثيرُ مِنَ البُيوتِ ذاتِ الثَّلاثَةِ أَوِ الأَرْبَعَةِ طَوابِقَ، والشَّوارِعُ الرَّئيسِيَّةُ والجانِبِيَّةُ المُؤَدِّيَةُ إلى النَّهْرِ كُلُّها مُسْتَقيمَةٌ فائِقَةُ الإسْتِقامَةِ.



عُرِفَتْ حَدائِقُ بابِلَ المُعَلَّقَةُ في التّاريخِ المُتَناقَلِ بِكَوْنِها إحْدى عَجائِبِ الدُّنْيا السَّبْعِ. وَقَدْ بُنِيَتْ لِتُطَيِّبَ خاطِرَ مَلِكَةٍ تَحِنُّ إلى مَوْطِنِها الأَوَّلِ. لكِنَّ أَعْمالَ التَّنْقيبِ لَمّا تُسْفِرْ عَنْ آثارٍ تُؤَيِّدُ ذلِكَ.

وقَدْ أَيَّدَتْ أَعْمالُ التَّنْقيبِ في بابِلَ الكَثيرَ مِمّا جاءَ في وَصْفِ هيرودوتس. فَي وَصْفِهِ لِسُورِ المَدينَةِ يَقُولُ المُؤَرِّخُ الشَّهيرُ إنَّهُ مِنَ العَرْضِ بِحَيْثُ يُمْكِنُ لِمَرْكَبَةٍ أَنْ تَسيرَ فَوْقَهُ، والحَفْرِيّاتُ بَيَّنَتْ أَنَّ عَرْضَ جِدارِ السُّورِ بَلَغَ ١٣ مِتْرًا.

لكِنْ لَيْسَ كُلُّ ما كَتَبَهُ الرَّحّالَةُ جَديرًا بِالتَّصْديقِ. فَقَدْ يَكونُ ما سَجَّلوهُ رِوايَةً تَناقَلَها القَوْمُ أَوْ ذِكْرَياتٍ دَوَّنوها بَعْدَ زِيارَتِهِمْ لِلْمَوْقِعِ بِزَمَنٍ طَويلٍ. لِذا مِنَ المُهِمِّ مُقارَنَةُ ما كَتَبوهُ عَنْ بابِلَ بِما هُوَ مَوْجودٌ فِعْلًا عَلى الأَرْضِ.

ويُرْوَى عَنِ الحَدائِقِ المُعَلَّقَةِ أَنَّها إحْدى عَجائِبِ الدُّنْيا السَّبْعِ، وأَنَّ المَلِكَ نَبوخَذ نَصَّر بَناها مَصاطِبَ مُدَرَّجَةً لِزَوْجَتِهِ أَمانيس لِيُوَفِّرَ لَها مُناخًا شَبيهًا بِأَجْواءِ المَناطِقِ الجَبَلِيَّةِ الَّتي جاءَتْ مِنْها. فَكُلُّ الطَّبَقاتِ مَكْسُوَّةٌ بِالحَدائِقِ والأَشْجارِ، وتَسْقيها المِياهُ بِطُرُقٍ غايَةٍ في البَراعَةِ والإبْداعِ. والمُؤْسِفُ أَنَّ أَعْمالَ التَّنْقيبِ لَمّا تُسْفِرْ عَنْ شَيْءٍ يُؤَيِّدُ ذلِكَ. ويَرى لِيُونارْد وُولي أَنَّ زَقورَةَ أُورَ كانَتْ ذاتَ حَدائِقَ في مَصاطِبِها السُّفْلى حَيْثُ عَثَرَ عَلى بَقايا جُذوعِ أَشْجارٍ وحُفَرٍ قَدْ تَكونُ اسْتُخْدِمَتْ لِتَصْريفِ فائِضِ المِياهِ.

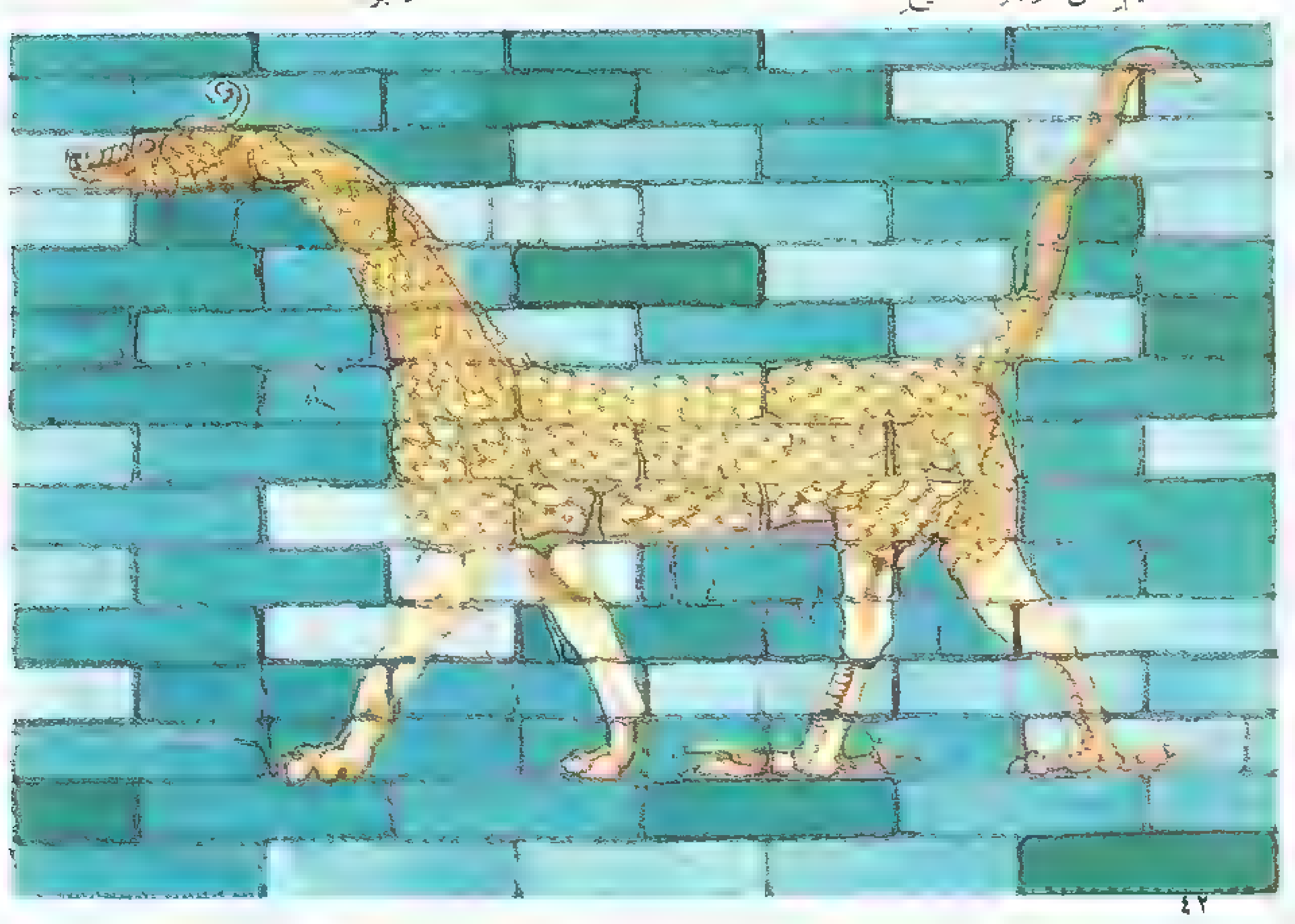


في المقدس بوابة عشتار

وتُعتَبَرُ بَوّابَةُ عَشْتارَ ورِواقُ المَواكِبِ المُعَلّى - بَيْنَ أَسْوارِ المَدينَةِ وَالْمَعْبَد أَعْظَمَ مَفاخِرِ بابِلَ، وهُما لَمْ يَكُونا قَدْ شُيِّدا حِينَ زارَ هيرودوتس الْمِنْطَقَةَ. يَبْلُغُ ارْتِفاعُ بَوّابَةِ عَشْتارَ - مَعَ أَبْراجِها - خَمْسينَ مِتْرًا، وعَرْضُها ثَمانِيَةُ أَمْتارٍ. وهِيَ تُؤَدّي إلى رِواقِ المَواكِبِ الَّذي يَبْلُغُ طُولُه أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مِتْرٍ تُحيطُ بِجانِبَيْهِ الأَبْراجُ. وهٰذِهِ الإِنْشاءاتُ مُزَيَّنَةٌ بِالآجُرِّ المُزَجَّجِ والتَّماثيلِ الزّاهِيَةِ الأَلْوانِ لِأُسودٍ وثيرانٍ وشِبْهِ تِنّينٍ أُسْطورِيٍّ اِسْمُهُ سِرُّوش - لَهُ في المُقَدَّمَةِ رِجْلا أَسَدٍ وفي المُؤَخَّرَةِ رِجْلا طائِرٍ. والهَدَفُ مِنْها جَميعًا إِضْفاءُ جَوٍّ رائعِ البَهاءِ عَلى المَواكِبِ الدِّينِيَّةِ عَبْرَ المَدينَةِ تَكْريسًا لِإِلٰهِهِمِ الأَشْهَرِ - مَرْدوك.

وبَوّابَةُ عَشْتارَ أُعيدَ تَرْكيبُها في مُتْحَفِ بِرْلينَ بِاسْتِخْدامِ قِطَعِ الآجُرِّ المُزَجَّجِ نَفْسِها بِما عَلَيْها مِنْ تَماثيلَ. وَقَدْ لوحِظَ أَنَّ قِطَعَ الآجُرِّ جَميعَها مُعَلَّمَةٌ أَصْلًا بِإِشاراتٍ تُبَيِّنُ مَوْقِعَها تَسْهيلًا لِمُهِمَّةِ البَنّائينَ في لَأْمِ أَجْزاءِ التَّصاميمِ عَلى الوَجْهِ الصَّحيحِ.

إلى أَسْفَل لَقْطَةٌ تَفْصيلِيَّةٌ مِنْ بَوّابَةِ عَشْتارَ تُبَيِّنُ وَحْشًا أُسْطورِيًّا مُشَكَّلًا مِنَ الآجُرِّ





أَوَّلُ مُلوكِ الكَلْدانِ البابِلِيِّينَ هُوَ نَبو بُولَصَّر الَّذي حَمى بابِلَ الثانِيَةَ مِنَ الأَشورِيِّينَ ، ثُمَّ تعاوَنَ مَعَ الميدِيِّينَ وَاسْتَوْلَى عَلى نِينَوى بَعْدَ أَنْ حاصَرَها ودَكَّ حُصونَها ، فَأَحْرَقَ مَلِكُها نَفْسَهُ في قَصْرِهِ.

وَتابَعَ نَبُوخَذ نَصَّر ، الَّذي حَكَمَ مِنْ ٦٠٥ إِلى ٥٦٢ ق.م ، خُطَى والِدِهِ في إِعْمارِ بابِلَ وتَوسيعِ رُقْعَةِ دَوْلَتِها حَتَّى القُدْسِ غَرْبًا. وَحينَ تَأَلَّبَ السُّكَّانُ فيها عَلَيْهِ اِسْتاقَ آلافًا مِنْهُمْ إِلى بابِلَ حَيْثُ بَقُوا في الأَسْرِ قُرابَةَ خَمْسينَ عامًا.

وبَعْدَ وَفاةِ نَبُوخَذ نَصَّرَ اِعْتَلَى عَرْشَ بابِلَ مُلوكٌ ضُعَفاءُ ما اسْتَطاعُوا المُحافَظَةَ عَلى أَمْجادِ أَسْلافِهِم. فَفي العامِ ٥٣٨ ق.م اجْتاحَتْ جُيُوشُ كُورُشَ الثاني ، مَلِكِ بِلادِ فارِسَ ، مَدينَةَ بابِلَ دُونَ مُقاوَمَةٍ تُذْكَرُ مِنَ المُواطِنينَ أَوْ مِنْ آخِرِ حُكَّامِهِمْ نَبو نِيدِس.



فَوْق الإِلهُ البابِلِي مَرْدوك مُمَثَّلاً عَلى حَجَرٍ حُدودِيٍّ

إِلى أَسْفَل ويَسارًا الجُنودُ الفُرْسُ يَدْخُلونَ بابِلَ وَيَسْتَوْلُونَ عَلى المَدينَةِ



إِسْتَمَرَّ حُكْمُ الفُرْسِ فِي بِلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ حَتَّى ٣٣٠ ق.م حِينَ اجْتاحَهُ الإِسْكَنْدَرُ فِي فُتُوحاتِهِ الشّاسِعَةِ. ثُمَّ زالَ حُكْمُ الإِسْكَنْدَرِ وَاسْتَوْلَى عَلَى الحُكْمِ الفَرْثِيُّونَ، ثُمَّ السّاسانِيُّونَ. ثُمَّ بَدَأَ العَهْدُ الإِسْلامِيُّ العَرَبِيُّ بَعْدَ مَوْقِعَةِ القادِسِيَّةِ عامَ ٦٣٧ م.

إِنَّ الآثارَ الَّتِي تَتَجَلَّى فِي حَفْرِيّاتِ بِلادِ وادِي الرّافِدَيْنِ تُبَيِّنُ أَنَّ مَهْدَ الحَضارَةِ هٰذا اسْتَمَرَّ مِعْطاءً يَنْهَلُ مِنْ حَضارَتِهِ وَتُراثِهِ وَإِنْجازاتِهِ الفاتِحُونَ فَيَنْشُرُونَها حَيْثُما حَلُّوا. إِنَّ حَضارَتَنا اليَوْمَ مَدِينَةٌ بِالكَثِيرِ بِما حَقَّقَهُ القُدَماءُ مِنْ شُعُوبِ هٰذِهِ البِلادِ: بِلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ!

مُلْصَقاتٌ تُبْرِزُ بَعْضَ الإِنْجازاتِ الحَضارِيَّةِ فِي بِلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ.



مُزامَنَة الأَحْداث التارِيخيَّة

ق.م.	الأَحْداثُ التّاريخيَّةُ في وادي الرّافِدَيْن	الأَحْداثُ في بَقِيَّةِ العالَم
٥٠٠٠	أَقوامٌ مِنْ آسيا يَسْتَقِرُّونَ في سُومَر.	المُسْتَوطَناتُ الأُولى في جُبيل (فينيقيا).
٣٠٠٠	قِيامُ الحضارَةِ السُّومَرِيَّةِ وبَوادِرُ الكِتابَةِ المِسْمارِيَّة.	تأسيسُ أُولى المُدُنِ الصِّينيَّة.
٢٥٠٠	سَرْجونُ الأَكّادي يَتولَّى الحُكْمَ في وادي الرّافِدَيْن (حوالى ٢٣٥٠).	اسْتِخْدامُ وَرَقِ البَرْدِي في مِصْر.
	إنْهيارُ الإمبراطوريَّةِ الأَكّاديَّة (٢٢٠٠) وتَجدُّدُ حَيَويَّةِ المُدُنِ السُّومَرِيَّةِ وبخاصَّةٍ أُوْر.	بناءُ أهرامِ الجيزَة في القاهرة (٢٢٠٠).
٢٠٠٠	العيلاميُّونَ يَسْتَوْلُونَ عَلى أُورَ ويَحْكُمونَ وادي الرّافِدَيْن (٢٠١٦).	تَشْييدُ مَقام ستُونْهِنج في بريطانيا.
١٨٠٠	قِيامُ مَمْلَكَةِ شَمْشي عاضادَ مُتَّخِذَةً أَشورَ مَرْكَزًا لَها.	نِهايَةُ العَصْرِ البرُونْزيِّ وبِدايَةُ عَصْرِ الحَديدِ في أُوروبّا.
	المَلِكُ حَمُورابي البابِليُّ (١٧٩٢–١٧٥٠) يَضَعُ شَريعَةَ قَوانينَ لِمَمْلَكَتِهِ.	اليونانيُّونَ يُهاجِمونَ طَرْوادَة (١٢٠٠).
	الحِثِّيُّونَ يَسْتَبيحونَ بابِلَ سَلْبًا ونَهْبًا.	
	الكَشِّيُّونَ يَحْكُمونَ بابِلَ بَيْنَما يُسَيْطِرُ الحِثِّيونَ والحُورِيُّونَ عَلى مَناطِقَ أُخرى.	
١٠٠٠–٦٠٠	قِيامُ الإِمْبَراطوريَّةِ الأَشوريَّةِ بِزَعامَةِ أَشور ناصِر بال الثّاني (٨٨٣–٨٥٩) وشَلْما نَصَّر الثّالث (٨٥٨–٨٢٤).	المَلِكُ سُلَيْمانُ يَبْني هَيْكَلَهُ في القُدْس (١٠١٢).
	وَفاةُ سَنْحاريب (٦٨١).	تأسيسُ قَرْطاجَة (٨١٤).
	سُقوطُ نِينَوى (٦١٢) ونِهايَةُ الإمبراطوريَّةِ الأَشوريَّة.	تأسيسُ رُوما (٧٥٣).
٦٠٠–٣٠٠	البابِلِيُّونَ يَسْتَعيدونَ مَجْدَهُمْ مُؤَقَّتًا في بابِلَ الثّانية (٦٢٦–٥٣٨).	رُوما تَغْدو جَمْهوريَّةً (٥١٠).
	عَهْدُ نَبوخَذ نَصَّر (٦٠٥–٥٦٢) وإِعْمارُ بابِل.	وَفاةُ سِير هارْتا غُوتاما مُؤَسِّسِ البُوذِيَّة (٤٨٦).
	كُورُشُ الثاني مَلِكُ الفُرْسِ يَسْتَولي عَلى بابِل (٥٣٨).	
	الإِسْكَنْدَرُ الكَبيرُ يَسْتَولي عَلى بابِل (٣٣٠).	

مسـرد

(مادّة الأرقام المائلة تَرِدُ في الصُّورَة أو كلام الصُّورَة)

الأختامُ الأسطوانيّة : ١٣ .
أسرحَدّون : ٣١ .
إشمي داغان (المَلِك) : ٢٦ ، ٣٠ .
أشور (مَدينَة) : ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٧ .
أشور والإمبراطوريَّة الأشوريَّة : ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠–٣٧ ، ٣٨ ، ٤٥ .
أشور بانيبال : ٣١ ، **٣٥** ، ٣٦ .
أشور ناصِر بال الثّاني : ٣٠ .
أكّاد والإمبراطوريَّة الأكّاديَّة : ٢٣ ، ٣٠ .
أمانيس : ٤١ .
أور : **١٢** ، ١٨–٢٢ ، ٢٥ .
أورنامو (المَلِك) : **٢٥** .
إيسين : **٢٥** .
بابِل : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٨–٤٥ .
البَحْرِيُّون (الأقوام) : **٢٩** .
بوّابَةُ عشتار : **٣٩** ، ٤٢ ، **٤٣** .
بو آبي (المَلِكَة) : ٢٠ .
تِجلات بليسر (المَلِك) : ٣٠ ، ٣١ ، **٣٢** .
ثَبتُ المَلِك : ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ .
جَشما عاشاد (المَلِك) : ٢٦ .
جِلْجامِش : ٢٢ .
الحِثِّيُّون : **٢٩** .
حَدائِقُ بابِلَ المُعَلَّقة : ٤١ .
حَمُورابي : ٢٨ ، ٢٩ .
الحُورِيُّون : **٢٩** .
الخَفجي : ٩ .
خُورْساباد : ١٦ ، ٣٢ ، ٣٣ .
دِجلَة (نَهر) : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٢٩ ، ٣٠ .
زَقُّورَة : ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ ، **٣٩** ، ٤١ .
زمريليم (المَلِك) : **٢٦** .
سَرْجون : ٢٣ ، ٢٤ .
سَرْجون الثّاني : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .
سَنْحاريب : ٣١ ، ٣٢ .
سُومَر والسُّومَرِيُّون : ١٦–٢٥ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ .
شَلْما نَصَّر الثّالث : ٣٠ .
شَمْش (إله العَدالَة) : ٢٨ .
شَمْشي عاشاد : ٢٦ ، ٣٠ .
العِراق : ٢ .
عَشْتار : ١٩ ، ٤٢ .
العيلاميُّون : ٢٥ .
غُوديا (المَلِك) : ٢٤ .
فارِس (بِلاد) : ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦ .
الفُرات (نَهر) : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ١٦ ، ٢٦ .
فينيقيا : ٣٦ ، **٣٧** .
القادِسيَّة : ٤٦ .
قُبورُ المُلوك : ٢٠ ، ٢١ .
القُدْس : ٤٥ .
الكَشّيُّون : ٢٩ .
الكَلْدان : ٣٧ .
كُورَش الثّاني : ٣٨ ، ٤٥ .
كيش (المَلِك) : ٢٣ .
لارْسا : ٢٥ .
لَكَش : ٢٤ .
مَرْدوك : **٣٩** ، ٤٢ ، **٤٥** .
مَري (مَدينَة) : ١٦ ، ٢٦ ، ٢٨ .
مِسَلَّةُ حَمُورابي : ٢٨ .
المِسْمارِيَّة (الحُروف) : ١٤–١٥ ، ١٦ ، ٢٦ ، **٢٨** .
مِصْر : ٣٠ ، ٣١ .
ميتاني (مَمْلَكَة) : ٢٩ .
الميدِيُّون : ٣٧ .
نانا : ١٩ .
نارام سين (المَلِك) : ٢٣ ، ٢٤ .
نَبُوبولَصَّر : ٤٥ .
نَبُوخَذ نَصَّر : ٤٥ .
نَبونيدس : ٤٥ .
نِمْرود (مَدينَة) : ٣٠ ، ٣٢ ، **٣٥** ، ٣٦ ، ٣٧ .
نوح : ٢٢ .
نِينَوى : ٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ .
هيرودُوتُس : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ .
وُولي (لِيُونارْد) : ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٤١ .

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
ساحة رياض الصلح ، ص.ب. : ٩٤٥–١١
بيروت ، لبنان

الطبعة الأولى ،
طُبِع في لبنان
رقم الكتاب 01 C 195610

كتب الفراشة

المرحلة الأولى

١. القَمَر
٢. الجبال
٣. المَطَر
٤. الأنْهار
٥. النِّفْط
٦. الوَرَق
٧. حَيوانات الصَّحْراء وطُيورها
٨. نَباتات الصَّحراء وأزْهارها
٩. الواحات
١٠. المُحيطات والبِحار
١١. سُفُن الفَضاء
١٢. الأدْغال
١٣. الزُّجاج
١٤. القُطْن
١٥. الجِمال
١٦. النيل
١٧. الشَّمْس
١٨. الخَشَب
١٩. الحديد والفولاذ
٢٠. الجُلود
٢١. الأسْماك
٢٢. الطُّيور
٢٣. التَّمويه : وسيلة دفاع طبيعيّة
٢٤. الجَواد العَربيّ
٢٥. السَّيّارات
٢٦. الثِّياب
٢٧. الدَّواليب (العَجلات)
٢٨. الصّوف
٢٩. الحَيوانات في خِدمة الإنسان
٣٠. الدِّينوصورات
٣١. الطّائرة والطَّيران
٣٢. السُّفُن
٣٣. الخُبْز
٣٤. الجُزُر
٣٥. بيوت الحَيوانات
٣٦. الأشْجار
٣٧. النُّقود

المرحلة الثّانية

١. الأرْض
٢. الوَقْت
٣. النّار
٤. الهَواء
٥. الماء
٦. الحِرَف اليَدويّة في العالَم العربيّ
٧. المُستشفى
٨. الآلات الموسيقيّة
٩. التِّجارة
١٠. الطَّقس والمناخ
١١. المنطقتان القطبيّتان
١٢. عالَم الكتب
١٣. استِزراع الصَّحاري
١٤. المَطارات
١٥. المَزارع
١٦. الإسقاء والرَّيّ
١٧. الصَّحاري

المرحلة الثالثة

١. كنوز توت عنخ آمون
٢. الهرم الأكبر
٣. الفينيقيون
٤. وادي الرافدين



كتب الفراشة

٤٠ وادي الرّافدَين

كتب الفراشة سلاسلُ مُتميِّزة من كتب المعرفة المُصوَّرة غنيَّةٌ بالمعلومات المفيدة في شتّى المجالات العلميّة والأدبيّة والتاريخيّة والحياتيّة. وهي تَتدرَّج في مراحلَ ثلاثٍ تُناسبُ مُختلِف مُستويات القُرّاء.

لقد اختيرت النُّصوصُ وأُعِدَّت بإشراف الخُبراءِ والمختَصِّين لتَفي بمُتَطلَّبات الموضوع ولتلبية تطلُّعات القُرّاءِ واحتياجاتهم. وقد اختيرت الرُّسوم وصُمِّمت لِتؤلِّف لا عُنصرًا جماليًّا فقط بل لتكون مصدرَ معلوماتٍ إضافيًّا مُشَوِّقًا أيضًا.

والمرحلة الثالثة من كتب الفراشة هي المرحلة الأعلى مُستوًى من حيث طبيعةُ المعلومات ورسومُها ومستوى مُعالجتها.

كتب الفراشة في الحقيقة مكتبة مُتكامِلةٌ في البيت كما في المدرسة والنادي، تَجمعُ إلى ثروة المعلومات ومَناهِل المعرفةِ مُتْعَةَ القراءةِ وسَعةَ الإطّلاع والغِنى الثّقافيّ الرَّفيع.



مكتبة لبنان ناشرون

رقم الكتاب 01 C 195610